

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلاي بونعامة - بخميس مليانة -



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الثورة في شعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
(نماذج مختارة)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر/ تخصص: أدب جزائري

إشراف الأستاذ: أحمد نقي

إعداد الطالبتين :

زهرة غواولة /

يمينة مادن /

السنة الجامعية: 2015-2016



شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا لانجازه نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف "أحمد نقي"، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة، التي كانت لنا عوناً في إتمامه.

وإلى كل من ساعد على خلق نسيج من الجهد والجدّ: إلى كل من الأستاذ "محمد مداور" ومدير المكتبة البلدية بتاشة "سمير هني".

وإلى كل من رافقنا طوال هذه السنة في إتمام عملنا، وإلى كل أساتذتنا طوال مسارنا الدراسي.

إهداء

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام وأكرمنا بالقرآن، وحبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا
الفسوق والعصيان والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وقدوة للمتقين محمد
وآله وصحبه أجمعين.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من ساهم في مد حبل المساعدة لنا سواءاً من قريب أو
من بعيد.

وإلى كل من وسعهم قلبي، ولم يسعهم قلبي، و وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي عائلي
وكل صديقاتي اللواتي رافقتني في حياتي وإلى كل أساتذتي طوال مشواري الدراسي.

مقدمة

الحمد لله ما غرّد بلبل وصدح، وما اهتدى قلب وانشرح، وما عمّ فينا السرور والفرح.
الحمد لله ما ارتفع نور الحقّ وظهر، وما تراجع الباطل وتقهقر وما سال نبع الماء وتفجر،
وما طلع صبح وأسفر، والصلاة والسلام على النبيّ الأطهر صاحب الوجه الأنور والجبين
الأزهر، وعلى آله وصحبه خير الأهل المعشر.

أما بعد:

إذا تحدثنا عن القصيدة الجزائرية المعاصرة فلا يمكن لأحد أن ينكر أن أي وطن عانى ويلات
الاستعمار، وتجرع مرارة الظلم، ورضخ تحته ما يزيد عن قرن ونصف القرن، لا بد أن تكون له
آثار سلبية، كافية بإبعاده عن مواكبة ركب الحياة، على اختلاف أشكالها ومظاهرها،
فالاستعمار قد كتب لفرنسا بالجزائر خلال ثورة التحرير تاريخاً مادته الخزي والعار، وسطوره
الوحشية والهمجية، والدّماء والدموع، وهتك الأعراض، فهو لم يأت للجزائر ليزرع ثقافة عالية
وينشر بذور الأمل بين سكانها كما قد كانوا يزعمون، وإنما أتى كالنيزك الحارق والموج
الجارف ليدمر معالم الأمة، ويمحو مقوماتها الشخصية، كالدين، واللغة، والتراث... بل جاء
كالجرثوم الذي ينخر روح الأمة، ويقتل كل قطب كان على وشك إدخال اسم "الجزائر" إلى
مصاف البلدان الراقية، فكم الأفواه، وأصبحت لا تتكلم إلا همسا وخلصه خوفاً من المستعمر
الغاشم.

دلني إن استطعت بالعيان أو الخبر، فيمن بقي أو فيمن غبر، على شعب غير الشعب
الجزائري الباسل الحر، ألحّ عليه الاستعمار الفرنسي الكافر الفاجر بسلب الاستقلال وسوء
الاستغلال، وفساد التعليم، ومسح العقيدة طوال فترة الاستعمار، مع ذلك لا تزال في رأسه نخوة
العروبة، وفي نفسه حمية الإسلام، يذكر ولا ينسى أن له وطناً يحتله الغريب، ويستغله
المستعمر، فجاهد بالسيف والقلم وصابر بالعزم ثمّ ابتلاه العدو فما وهن وما استكان، فرغم
تعودنا المألوف على أن النار دوماً تتجب لنا رماداً، لكن هذا الرماد من الحين للآخر ينطوي
تحت جنباته جمراً تنتقد به حناجر شعرائنا بصفة عامة ومنهم شعراء جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين بداية من تاريخ تأسيسها.

المتأمل للغة الشعر في الثورة يلاحظ أن الشعر والثورة يتأثران ببعضهما البعض، فلغة هؤلاء الشعراء ما هي إلا انعكاس لما يحسونه فيرسمون تلك العبارة السهلة والبسيطة التي تصل عقول وقلوب الناس باختلاف مستوياتهم الثقافية، فظهر في الساحة الأدبية والثورية في تلك الفترة أسماء لها مكانتها في المجال الأدبي كعبد الحميد بن باديس، ومحمد العيد آل خليفة، وأحمد سحنون وغيرهم، كلها أسماء لها وزنها، واعتبروا جيل الرواد بحق، ومنبع العطاء الفكري والأدبي، ومن أسباب تنعم الجزائر بالاستقلال لأن النضال بالكلمة أقوى من السلاح فكانت مفجرة للثورة وكذا للإبداع في الوقت نفسه.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

أ - الأسباب الذاتية:

- حب الإطلاع والاكتشاف، ومراجعة الكتب التاريخية وكذا الشعرية.

- ومعرفة بدايات الثورة الجزائرية التي سبقت في بدايتها الكلمة السلاح.

ب - الأسباب الموضوعية:

- تسليط الضوء على جمعية العلماء المسلمين، وكيفية نشأتها، وكذا التعرف على أعضائها

الذين اعتبروا من رواد الإصلاح في الجزائر.

- جهلنا لبعض الأدباء والشعراء الذين صنعوا ثورة الجزائر ومجدها.

وعليه وضعنا الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهمت الجمعية في نشر الوعي بين الشعب؟ وكيف استطاعت ترسيخ الحس

الثوري من خلال أشعارها؟

انتهجنا طوال بحثنا على المنهج التاريخي الوصفي وكلما استطردها في بحثنا امتزجت المناهج

لنضيف بذلك المنهج التحليلي.

أما هيكل البحث فيحتوي على مدخل وفصلين أولها نظري والآخر تطبيقي.

المدخل: تطرقنا فيه لظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأهدافها التي رسمتها

بداية من نشأتها وأهم الآثار التي أثروا بها رفوف المكتبات الجزائرية.

الفصل الأول موسوم بإرهاصات الثورة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقسم إلى مبحثين، الأول تحت عنوان ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونبذة عن بعض أعضائها، وهو بدوره يضم ثلاثة مطالب، المطلب الأول متمثل في ماهية الثورة، والمطلب الثاني في حالة الشعب الجزائري قبيل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والثالث قدمنا فيه موجزا عن حياة أهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أما المبحث الثاني فتناول مدى تأثير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذي يندرج عنه ثلاثة مطالب أولها: موقف الأحزاب السياسية من جمعية العلماء المسلمين، وثانيها: موقف الاستعمار من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وثالثها: في دور الجالية الجزائرية دينيا، سياسيا، ثقافيا.

الفصل الثاني موسوم بـ: كيفية تناول جمعية العلماء المسلمين للثورة (نماذج مختارة)، ويتكون من مبحثين الأول تحت عنوان الثورة وتعدد رؤاها، يندرج تحته ثلاثة مطالب الأول يتمثل في رؤية عبد الحميد بن باديس ومحمد السعيد الزاهري، والثاني معنون بالشعب الجزائري يفجر ثورة التحرير، والثالث يتمثل في موقف جمعية العلماء المسلمين من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م وردة الفعل الفرنسية من ذلك، أما المبحث الثاني يتناول بعض النماذج المختارة لشعراء الجمعية، وينطوي تحته ثلاثة مطالب الأول يدور حول البشير الإبراهيمي والثاني محمد العيد آل خليفة أما الثالث يتناول أحمد سحنون في الثورة في شعرهم. وهذا الحصر لا يعني افتقار البقية لدواوين شعرية والتفريغ من دورها حول صناعة الحدث في الجزائر.

واعتمدنا في بحثنا هذا على عدد من المصادر والمراجع أهمها:

- محمد العيد آل خليفة: "الديوان سلسلة شعراء الجزائر".
- أحمد سحنون: "الديوان سلسلة شعراء الجزائر".
- عبد المالك مرتاض: "معجم الشعراء في القرن العشرين".
- عمر بن قينة: "الأدب الجزائري الحديث".

-
- عبد الكريم بوصفصاف: "جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى(دراسة تاريخية إيديولوجية مقارنة)".
- وتجدر الإشارة إلى أنه لا تخلو أية عملية بحث من صعوبات وعراقيل التي تصادف البحث وأصعب ما واجهنا:
- تشعب الموضوع وانفتاح أبوابه لذا كلما جمعنا المادة العلمية شعرنا بالنقص.
 - دراسة موضوعنا بكثرة من الناحية التاريخية لذا وجدنا بعض الصعوبة في دراسته من الناحية الأدبية لقلّة التطرق له، وكذلك ندرة المصادر والمراجع.
 - تكرار معلومة واحدة في العديد من الكتب هذا ما أعاق سير بحثنا.
 - صعوبة الحصول على دواوين بعض أعضاء الجمعية وذلك لندرتها وعدم توفرها في المكتبات الخارجية خاصة القريبة من جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة.
- وختاماً فإننا نأمل أننا سلطنا ولو بعض الضوء على الثورة في شعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاولنا بذلك إعطاء أهمية لأدبنا الجزائري وخدمته، كما نشكر الأساتذة أعضاء المناقشة على ما يقدموه لنا من توجيه ونصح وإرشاد قصد تقويم هذا البحث.

ملاحظ

1 - تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لم تأت ثورة نوفمبر من فراغ، ولكنها خرجت من رحم معاناة الشعب الجزائري على مدى قرن وأكثر من عقدين من الزمن جراء القهر الذي مارسه الاحتلال الفرنسي على مختلف الأصعدة، ولقد طبعت مسيرة الشعر الحديث في الجزائر من خلال القضايا التي عكسها الشعر الجزائري في نتاج مرحلة هامة من نهوض الحركة الوطنية عموما والحركة الإصلاحية خصوصا وثورة نوفمبر بالأخص تفاعل معها وعبر عنها تعبيراً حياً صادقاً بود وإخلاص.

و دون ريب فإن " الثورة التحريرية تعدّ من أبرز الثورات التي عرفتها الإنسانية عبر تاريخها الطويل بمختلف مناطقه وبواديه وحواضره مع إرادة الثوار وعزيمتهم على الانتصار مهما كان شاقاً ومهما كان معقداً، ولقد بذل الشعب الجزائري بمختلف طبقاته تضحيات جسام،¹ فلم يترك الاستعمار الفرنسي بالجزائر وسيلة من وسائل الإبادة النفسية والعقلية لتشيويه المقومات الشخصية الذاتية ولم يترك لونا من ألوان الإرهاب والاضطهاد إلا واستعمله معه إذ كان همه الوحيد هو سلخ الشعب الجزائري عن امتداده الطبيعي عربياً وإسلامياً، فكان على الشاعر التموّج في خندق النضال الوطني متحسناً آلام الوطن وآماله، وبعد كل هذه الأوضاع المزرية كان لابد للشعب الجزائري أن يتحرك، فقد تغيرت نظرتة إلى المستعمر، وتأكد بأن ما أخذ منهم بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

"وفي ظل هذه الأجواء ظهرت الحركة الإصلاحية في الجزائر شمالاً وجنوباً بقيام نهضة فكرية كانت عبارة عن إرهاصات تبلورت إلى أهداف أساسية عملت الحركة على تحقيقها وهي بعث التراث الوطني وإحيائه،"² فظهرت على يد بعض المثقفين حركات إصلاحية فكرية، كحركة عبد القادر مجاوي و محمد أبو شنب، لكنها لم تتسع لفرديتها إلا في عهد الإمام عبد الحميد بن باديس، الذي أقام دعوة إلى دين الحق، منادياً بالتصحيح

¹ - شريط أحمد شريط: الإشارات في الأدب والفكر والثقافة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009، ص508.

² - محمد ناصر بوحجام: أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، د.ط، 1992، ص09.

العقائدي، رغم كل المضايقات من طرف أصحاب الطرق والزوايا، بتحريض من فرنسا مواصلا دربه الإصلاحية معتمدا على جريدة (المعتقد) لنشر أفكاره عبر كامل التراب الوطني، والتفت حوله عدد من المثقفين وعلماء الدين.

" فبالرغم من أن مجتمع جزائر ما بعد الاستقلال، متشبع بالأفكار الإصلاحية والوطنية والقومية، التي رفعت لواءها جمعية العلماء، فإن الكثرة الكاثرة من أبناء هذا الوطن يجهلون مصدرها، كما يجهلون رجالها العظام الذين وهبوا حياتهم لنشرها بشيء من الوسائل ومختلف السبل، وتحملوا من أجل ذلك ما لا يعلمه إلا الله من ضروب العسف، وصنوف العنت، والظلم، والاضطهاد.¹ وعلى ضوء ذلك أنشأ (نادي الترقى) ليكون ملتقى فكريا للعلماء والطلبة ولم يقتصر النادي على زمرة بعينها، أو جماعة محددة، وإنما كان مفتوحا لكل وطني يريد أن يشارك في بناء لبنة من لبنات الوحدة الوطنية الجزائرية، التي طالما حاول الفرنسيون تفكيكتها.

وفي ظل هذه الفترة العصبية كانت خطى الجهاد تشق طريقها بصعوبة وسط صعوبات التعريب وبطش المستعمر والحملات التبشيرية الفرنسية، حتى قال أحد الفرنسيين: " إن عهد الهلال قد ولى، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد"²، وفي هذه الأثناء كان لا بد من خطوة للأمام، فقد أنشأ العلماء في ناديهم نادي الترقى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، في الخامس من ماي 1931م ترأسها عبد الحميد بن باديس، ونصّ قانونها الأساسي على: " أنها جمعية إرشادية تهذيبية قصدها محاربة الآفات الاجتماعية وكل ما يحرّمه صريح الشرع وينكره العقل"³، جمعت الجمعية نخبة من رجال الجزائر العاملين، كان

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، دار المدار يونيفارسيبي براس، الجزائر ط2، ، 2009، ص 10 .

² - عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ص128.

³ - ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2009، ص 218.

في طليعتهم علماء الدين المتأثرون بالحركة الإصلاحية بالمشرق وقد اضطرت الجمعية نظرا لنشاطها التربوي وتوجهها الإصلاحي إلى مواجهة الإدارة الفرنسية والمتعاونين معها، ومنهم بعض شيوخ الطرق ورؤساء الزوايا الذين رأوا في دعوة العلماء ما يهدد مصالحهم ويقضي على مكانتهم القائمة على الدروشة والخرافات والخضوع للاستعمار.

وانتمى إلى جماعة العلماء على رأسهم " الشيخ البشير الإبراهيمي و الطيب العقبي والشيخ العربي تبسي و الشيخ مبارك الملي ومحمد خير الدين"، تم تعيين مجلس إداري من ثلاثة عشر عضوا، وحددت جمعية العلماء المسلمين برنامجها في قانونها الأساسي الذي تضمن أربعة و عشرون فصلا تناول فيها الخطوط العريضة لعمل الجمعية، وقد لبي هذه الدعوة وحضر الاجتماع التأسيسي أكثر من سبعين عالما من مختلف جهات الوطن ومن شتى الاتجاهات الدينية والمذهبية، ويصف هذه الاستجابة السريعة الشيخ البشير الإبراهيمي: " دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة صادرة باسم الأمة كلها وليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس، لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق من الحملات الصادقة على جمودهم فاستجابوا جميعا للدعوة واجتمعوا في يومها المقرر، ودام اجتماعنا في نادي الترقى بالجزائر أربعة أيام، وانتخب ابن باديس رئيسا وجاء دور العمل"¹.

تولى البشير الإبراهيمي الإشراف على نشاط الجمعية في غرب الجزائر متخذا من تلمسان مركزا لعلمه وجهوده، وتولى الطيب العقبي المهمة نفسها وكان هناك تنسيقا بين القادة الثلاث، وأعضاء الجمعية وفروعها وأنصارها في مختلف أنحاء الجزائر: " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"².

2 - أهم أسباب نشأتها:

هناك مجموعة من الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشوء جمعية العلماء المسلمين وخروجها إلى الثورة بعدما كان العمل الإصلاحي يقوم به كل فرد على حدى، وندرج أسباب

¹ - عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 129.

² - المرجع نفسه، ص 130.

النشأة حسب أبو قاسم سعد الله - في نظره - يعود إلى أن "الجمعية ما تزال غير مدروسة، أن معظم الباحثين يستندون إلى المقولة التي تذهب إلى أن الجمعية ظهرت كرد فعل على الإحتفالات المئوية للاحتلال، أما عندما دخلت الجمعية إلى ميدان العمل فقد كان العمل السياسي أحد أركان نشاطها، تمثل ذلك في صراعها الخفي والعلني ضد الإدارة الاستعمارية فيما يتعلق بحق الجزائريين في التعليم عموماً وبلغتهم العربية خصوصاً، وفي المطالبة بتخلي الإدارة الاستعمارية عن الشؤون الإسلامية، وترك الإسلام لأهله طبقاً لاتفاق 1820م، ولمبدأ فصل الدين عن الدولة الذي طبقته فرنسا عن الأديان الأخرى غير الإسلام، كما تمثل في رفض السياسة الاستعمارية الداعية إلى التجنيس، وفي الدعوة إلى استقلال القضاء الإسلامي الذي تحته القانون العام الفرنسي، ونحو ذلك من القضايا"¹.

أما فيما يخص الشيخ البشير الإبراهيمي فيرجع أسباب النشأة إلى عوامل أخرى ويعود ذلك إلى "آثار الشيخ محمد عبدو، وذلك بطرية المعارضة الشديدة من الفقهاء الجزائريين المتمزتين لأفكاره التي كانت تتسرب إلى الجزائر بواسطة مجلة المنار، أيضاً الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس بدروسه الحية، ضف إلى ذلك التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس في عقابيل الحرب العالمية الأولى"²،

" كما يضيف الدكتور مرتاض أسباباً منها:

اشتداد تأثير الحركات الصوفية بالجزائر، وازدياد نشاطها، وتكاثر طرائقها، حتى تجاوزت العشر، واكتسحت جميع المدن والقرى، وميل أهل التصوف من عوامهم خصوصاً إلى الإغراق في الروحانيات، والكلف الشديد في الخوض في أمور الغيب على سبيل اليقين، والتعلق المنير بمشاهدة البركة والمناقب والكرامات، كذلك اشتداد شراسة الاستعمار الفرنسي ومبالغته في محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي والتخلص الذهني و الشعوذة لدى الناس، بالإضافة إلى شيوع الجهل بين عامة الناس الجزائريين، حيث كانت الأمية تتجاوز ثمانون

¹ - أبو قاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج4، لبنان، ط1، 1996، ص 145.

² - عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 137.

بالمائة (80 %) في أوساط الجزائريين من الذكور، وتسعون بالمائة (90%) في أوساط الجزائريات ولذلك نجد الأستاذ المرحوم محمد إبراهيم الكتاني الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية يقول: شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم ما لم أكن أتصور أن الحالة وصلت إلى معشاة جهل باللغة العربية فظيع وطمس لمعالم الدين شنيع¹.
فإنشاء الجمعية كان الهدف منه والغاية المرجوة لذلك هو لم الشمل وعدم الإقصاء لكل من أراد خدمة دينه ووطنه.

3 - أهدافها:

إن أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتلخص على مبدأ واحد لم تحد عنه الثوابت من ابن باديس إلى آخر عضو من الجمعية...، رغم وجود من حاد عن الخط وتراجع أبحر ضد التيار وذلك في "تعليم الناس الدين الحنيف واللغة العربية والتاريخ الإسلامي، والمطالبة برفع اليد الاستعمارية عن المساجد والمدارس والأوقاف والقضاء الشرعي، وامتدت مسيرتهم إلى المطالبة بالوطن و الاستقلال والمشاركة في الثورة و الإعداد لها... والدليل على ذلك تكرر مصطلح الوطن - الاستقلال - الحرية - النهضة مرة تصريحاً ومرة تلميحاً.²

وقد ارتكزت مرجعيتها وأصولها على جملة من المبادئ منها: "اعتبار الإسلام هو دين الله الذي وصفه لهداية عباده، وأرسل به جميع رسله كمله على يد نبيه - صلى الله عليه وسلم - الذي لا نبي بعده، ضف إلى ذلك الإسلام دين البشرية الذي لا تسعد إلا به، والقرآن هو كتاب الإسلام كما أن السنة القولية والفعلية الصحيحة تفسير للقرآن وبيان له. كما أن فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة، وأيضا البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربى، ولم يثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل بدعة ضلالة، والمصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط

¹ - ينظر: عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 138,139.

² - المرجع نفسه، ص 134,142.

شؤونهم، وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة وأفضل الخلق هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وأفضل أمته بعده من السلف الصالح لكمال أتباعهم له"¹، وعلى هذا المنهج بدأت الجمعية دعوتها بدستور إسلامي يستمد عمله من النصوص، حيث قال عبد الحميد ابن باديس: "إن جمعيتكم جمعية دينية علمية تدعو إلى العلم النافع ونشره وتعين عليه وتدعو إلى الدين الخالص وتبينه وتعمل لتثبيته وتقوية وازرعه في نفوس هذه الأمة فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وارشاده الذي لا يبتغي من وراء عمله أجرا ولا محمدا..."².

تظهر جليا هذه الأهداف في "خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي ألقاه في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقى بالعاصمة يوم الأحد: 11 رجب 1355هـ و 27 سبتمبر 1936م"³، إذ كانت فحوى هذا الخطاب بمناسبة مرور خمس سنوات قطعتها الجمعية في سبيل إعلان غايتها والثمرة المرجوة منها بحضور وفود من رجال الإصلاح في الجزائر مخاطبا إياهم بضرورة الالتفاف حول الجمعية ودعمها في مسارها الإصلاحي وذلك باقتلاع الشعب الجزائري من حالة اليأس والجهل والظلم، وإعادة صياغة الوعي، وبعدها يكون تحرير الوطن من الاستعمار.

ومن مبادئها البديهية الثورة على كل الأوضاع الفاسدة فعملت على تهيئة الشعب لها ليكون النجاح به أضمن فاستعملت كل الوسائل بشتى أنواعها من ضمنها نشر الوعي الإصلاحي بين النشأ في اكتساب روح المقاومة بكل عزم واجتهاد ولم شملهم على كلمة واحدة وهي الحرية، ويتجلى ذلك في قول ابن باديس وهو يخاطب الجيل الجديد⁴:

¹ - ينظر: نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرضا والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009، ص 389,388.

² - عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 137.

³ - عبد الحميد بن باديس: نصوص مختارة، تح: محمد قرصو، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، د.ط، 2009، ص 25.

⁴ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 25.

"يا نشئ أنت رجائنا
 خذ للحياة سلاحها
 وبك الصباح قد اقترب
 وخض الخطوب ولا تهب
 وأقلع جذور الخائنين فمنهم كل عطب
 وأدق نفوس الظالمين السم يمزج بالرهب
 وأهزز نفوس الجامدين فرما حي الخشب"

وقد جاء في كتاب عبد الكريم بوصفصاف (جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى)، أن العديد من الكتاب رغم تباين اتجاهاتهم ومشاربهم قد اختلفوا في التعبير عن أهداف الجمعية، إذ قال الدكتور خير الدين أبو علي السوري: "إن هذه الجمعية بالإضافة إلى كونها دينية فهي تهدف إلى تثقيف وتهذيب المسلمين وتدعو القوم إلى ترك الخرافات الدخيلة على الإسلام... وأن هذه الجمعية ليس قصدها الإصلاح (اللاهوتي) وحده، بل ترمي إلى تثقيف القوم دينياً، وأدبياً، وعلمياً." ¹ أما ما جاء على لسان فرحات عباس الذي لخص برنامج الجمعية في "الرجوع إلى العربية والإسلام، ومحاربة أصحاب الزوايا والطرقين المتواطئين مع الاستعمار، وتكوين إطارات الثقافة العربية." ² بينما وصفت الإدارة الفرنسية أهداف الجمعية سنة 1941م فقالت: "أن أهداف الجمعية تتمثل في تجديد الإسلام وتطهيره من الخرافات التي ألصقها به شيوخ الزوايا، وتطوير التعليم الديني والثقافة العربية" ³، وقد كتب الكثير عن أهداف جمعية العلماء، وبعضهم قصرها على التعليم العربي، ومحاربة الخرافات وتصفية الإسلام مما علق به من الشوائب خلال القرون المتأخرة، وبعضهم قرنوا بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار بفكرة تكوين الدولة الجزائرية، بينما آخرون نظروا إلى العلماء على أنهم مجموعة من أنصار ومتقنين وردوا على الجزائر من الخارج يحملون معهم مذاهب هدامة وأفكار أجنبية عن المجتمع الجزائري، وقد رأى السيد

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيدولوجية)،

مرجع سابق، ص 145.

² - المرجع نفسه، ص 145، 146.

³ - المرجع نفسه، ص 146.

جوزيف ديبارمي سنة 1932م، أن أهداف جمعية العلماء تتمثل في " فهم لغة القرآن والعودة إلى الثقافة الإسلامية القديمة واعتبار المغرب العربي كقلعة للعرقية الشرقية في وجه الغرب، وتنقية وتبسيط الدين الإسلامي"¹.

وقد لاحظ نفس الكاتب أن كلمة السر لدى العلماء هي: «تعلموا...توحدوا»، ونقل نفس الكاتب عن الشهاب أنها حددت أهداف العلماء في إيقاظ الجزائريين من نومهم لكي يطالبوا بحقوقهم ويأخذوا مكانهم في الحياة الكريمة، وتخليص الدين من الخرافات، ولم يخرج شارل أندري جوليان عن نفس الخط تقريبا، فالعلماء في نظره كانوا يعملون على تطهير الإسلام وتكوين كيان جزائري قائم على الثقافة العربية الإسلامية"².

ويضيف هذا الأخير أن برنامج العلماء كان " دينيا وثقافيا في آن واحد، فمن الوجهة الدينية أرادوا الرجوع بالإسلام في الجزائر إلى نقاوته الأصلية... ومن الوجهة الثقافية سعوا إلى جمع شتات المجموعة الإسلامية بالتقريب بين السنين والخارج والعرب والبربر بدون تمييز في الجنس والأصل قصد خلق كتلة واحدة من المسلمين الجزائريين"³، ويحدد الشيخ البشير الإبراهيمي أهداف الجمعية في نقطتين أساسيتين هما: "إحياء مجد الدين الإسلامي، وإحياء مجد اللغة العربية)، فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فيمتمثل في إقامته كما أمر الله... أما إحياء مجد اللغة العربية فلكونها لسان هذا الدين ومترجم أسراره، ولسان القرآن، ولسان محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولسان تاريخ الدين الإسلامي ولسان أمة من قبل ومن بعد"⁴، و قد لخص ابن باديس مبادئ أهداف الجمعية سنة 1935م فيما يلي: " القرآن

¹ - أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ج3، لبنان، ط4، 1992، ص 86.

² - أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 87.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص146.

⁴ - المرجع نفسه، ص146.

إمامنا، السنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام والمسلمين، وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا"¹.

وقد قال شاعر الثورة مفدي زكريا²:

"جمعية العلماء المسلمين ومن
خاب الرجا في سواك اليوم فاضطلعي
أمانة الشعب شدت بعاتقكم
للمسلمين سواك اليوم منشود
بالعبء مندفر مجاور عديد
فما لغيركم تلقى المقاليد"

فالعلماء يركزون على الثقافة العربية والآداب الإسلامية في تكوين جيل على هذه الأسس هو ضالته ورسالته، وماذا يمكن أن يكونوا غير ذلك في فترة سادت فيها الحضارة الفرنسية وغطت فيها الدعوة إلى الاندماج في مجالات الحياة في الجزائر، وأصبحت البلاد مهددة بضياح شخصيتها ولغتها وعليه فإن العلماء لم يتجمدوا بالدعوة إلى التعليم الديني فقط، واللغة العربية فحسب، بل نادوا بتعليم كل العلوم وجميع اللغات الحية، ولكن على أساس أنها مكملة لتعاليم الإسلام والثقافة العربية.

وعلى ضوء ما سبق فإن تعدد الآراء بين الكتاب في تحديد تعريف أشمل لأهداف الجمعية لخصه أحد أعضائها سنة 1935م إذ قال: "إن أهداف جمعية العلماء تتمثل في إحياء الإسلام بإحياء الكتاب والسنة، وإحياء اللغة العربية، وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار رجاله المخلصين"³، أي أنها جمعية وجدت للحفاظ على المقومات الشخصية الجزائرية.

4 - آثارها:

نجحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أداء رسالتها التربوية ومهمتها التعليمية، وكانت لها مواقف مشرقة اتجاه قضايا العرب والمسلمين، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، فساعدت على نشر الوعي الوطني والإحساس بالانتماء الحضاري العربي والإسلامي

¹ - عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 137.

³ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 145.

للجزائر، وتخرج من مدارسها وعيل من المثقفين باللغة العربية كان لهم دورا في المحافظة على لغة الضاد بالجزائر والوقوف في وجه دعاة التغريب ومناصري الفرانكفونية¹، فجمعية العلماء جديرة باهتمام المؤرخين ورجال الفكر والدراسات الإسلامية وعلماء السياسة والاجتماع وغيرهم وذلك راجع لعدة أسباب منها: " أن جمعية العلماء أصلحت ما أفسده الاستعمار في الجزائر وصححت ما أفرزته عصور التخلف والانحطاط في العالم الإسلامي"².

ضف إلى ذلك حددت المفاهيم السمة للإسلام وذلك بالارتكاز على نظريتين علميتين: " نظرة إلى الماضي دون جمود أو تنطع، ونظرة إلى المستقبل دون استحقاق أو تحلل، حافظت على الثوابت من جهة، وأفسحت المجال لتطوير المتغيرات من جهة ثانية فوفقت بذلك بين مقتضيات الدين والدنيا في اعتدال وتوازن"³، كما أن هناك سبب ثالث لهذين السببين لا يقل أهمية عنهما وذلك أنها " أعادت الشعب إلى محيطه الثقافي الأصيل - بعد أن فصل عنه طيلة قرن من الزمن، وربطه من جديد - نظريا وعلميا - بالعالمين العربي والإسلامي"⁴.

أما السبب الرابع فيتمثل في "إحيائها للثقافة العربية في الجزائر بعد أن قوض الاستعمار هيكلها، إذ نشطت في أحضانها الأقلام، وتجدد الابتكار و الإبداع، فظهر المقال الصحفي والمقال الأدبي، والمقال السياسي، والقصة والرواية، كما نظمت في أحضانها أيضا روائع الشعر المعبرة عن آلام الشعب وآماله، شجبت الظلم، ونددت بتعسف الإدارة، ودعت إلى الكفاح وحثت عليه، وألهبت بتلك القصائد المشاعر الوطنية، وبشرت بقرب الخلاص،

¹ - ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، مرجع سابق، ص118.

² - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص13.

⁴ - المرجع نفسه، ص13.

وبالنصر المبين"¹، وعليه فإن الثوابت الوطنية هي وليدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وثمره جهد رجالها كما أنها" حاصرت قوى الاستعمار، وشددت الخناق عليها مما أدى إلى إبطال خططها وإحباط مؤامراتها، وذلك بأن غرست مطالبها الوطنية وأفكارها في نفوس الصغار والكبار من أبناء الأمة"²، دون أن ننسى كذلك أن "الجمعية أسست المدارس لنشر التعليم العصري، وفقا لبرامج قومية ومناهج تربوية حديثة، كما نشرت اللغة العربية الفصحى وأعدت إليها اعتبارها ومكانتها في المجتمع الجزائري."³

كما أنها نجحت كذلك في "تكوين إطارات على جانب كبير من الكفاءة، كانوا عماد الأمة خلال الثورة، وغداة الاستقلال ولا يزالون يمارسون نشاطهم في ظلّه إلى اليوم منهم الضابط، ومنهم السياسي والدبلوماسي ومنهم المعلم والأستاذ الجامعي ومنهم المهندس والكاتب والأديب وباختصار لا يخلو منهم قطاع من القطاعات"⁴، ومعنى ذلك أن نشاطات الجمعية قد تعددت واختلفت مجالاتها على مختلف الأصعدة.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى(دراسة تاريخية وإيديولوجية

مقارنة)، مرجع سابق، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 13, 14.

³ - المرجع نفسه، ص 14.

⁴ - المرجع نفسه، ص 14.

الفصل الأول

ارهصات الثورة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول: ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الثاني: مدى تأثير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الأول: ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونبذة عن

بعض أعضائها:

1- ماهية الثورة:

* لغة: "ثور: ثار الشيء ثورا و ثؤورا و ثورانا و تنثور: هاج، قال أبو كبير الهذلي:

يأوي إلى عظم الغريف، ونبله كسوام دبر الخشم المنثور.

وثور الغضب: حدثه، و الثائر الغضبان، ويقال للغضبان، أهيج ما يكون: قد ثار ثائره و فار فائره إذا غضب وهاج غضبه"¹.وهناك معنى آخر " فيقال: انتظر حتى تسكن هذه الثورة هذه الثورة، وهي الهيج"².ولم يغب هذا الاشتقاق عن الأصمعي حيث قال فيه: " رأيت فلاناً ثائر الرأس إذا رأيته قد إشعان شعره أي انتشر وتفوق، وفي حديث: جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسأله عن الإيمان، أي منتشر شعر الرأس قائمه..."³.وأضاف كذلك فقال: " ثارت نفسه إذا جشأت وإن شئت جاشت، قال أبو منصور: جشأت أي ارتفعت أي فارت. ويقال: مررت بأرانب فأثرتها. ويقال: كيف الدبي؟ فيقال: ثائر و ناقر، فالثائر ساعة ما يخرج من التراب و الناقر حين ينقر أي يثب من الأرض، وثار به الدم و ثار به الناس أي وثبوا عليه"⁴.

وأیضا في معنى آخر: " وثور البرك و استنفارها أي أزعجها و أنهضها، وفي الحديث: فرأيت الماء يثور من بين أصابعه أي ينبع بقوة وشدة، والحديث الآخر: بل هي حمى تنثور أو تفور.

¹ ابن منظور: لسان العرب، مج3، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص101.² - المرجع نفسه، ص101.³ - المرجع نفسه، ص102.⁴ - المرجع نفسه، ص102.

وثار القطا من مجثم هو ثار الجراد ثورا و انثار وظهر"¹.

وهناك معنى آخر إذ قالوا: " ثورة رجال كثرة رجال، وقال ابن مقبل:

و ثورة من رجال لو رأيتهم لقلت إحدى جراح الجر من أقر.

و يرجى وثروة، ولا يقال ثورة مال إنما هو ثروة مال فقط، وفي التهذيب: ثورة من رجال و
ثورةً من مال للكثير و يقال: ثروة من رجال و ثروة من مال بهذا المعنى.

وقال ابن الأعرابي وثورة من رجال و ثروة يعني عدد كبير، و ثروة من مال لا غير."²

* اصطلاحاً: الثورة في معناها الاصطلاحي هي " عملية تغير وتحول يتم خلالها موت القديم الذي لم يعد يتماشى وسنة التطور وظهور الجديد باعتبار استجابة موفقة لهذا التطور فتحدث الثورة في العمق بوسائل سلمية هادئة ومتواصلة أو تتم على السطح بطرق عنيفة مندفعة، تمهد لها ظروف تتصف بالتأزم وتساعد على عوامل داخلية يغلب عليها الصراع والمواجهة، وفي كلتا الحالتين العنيفة والهادئة يرسم خطوط الثورة و يحدد محتواها وتوجهاتها إنتاج فكري و وعي إيديولوجي و تحضير سياسي و تتوالى قياداتها طلائع مؤمنة و مضحية تعيش حلم التغيير و تستجيب لتحديات الواقع المفروضة عليها، في وقت تكون فيه الشرائح الواسعة في المجتمع مؤمنة بضرورة التغيير، ومتجاوبة مع الشعارات التي تعرض عليها و الأهداف التي تحدد لها"³، فيقع التلاؤم و يحدث التحول ليعقبه التغيير الذي وصفه الفيلسوف الألماني هيغل: " التغيير يعني وجود انحلال تتبثق عنه نهضته كما يخرج الحي من الميت... ويتم ذلك بالنسبة لأي شعب عندما تتحد الذاتية و الموضوعية في روحه اتحاداً تاماً، فلا هوة بين الفكر و العمل"⁴.

الثورة قبل أن تنزل إلى الميدان بالسلاح هي أدمغة رجال الفكر، و رجال الكلمة، هي فكرة

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مج3، مرجع سابق، ص102.

² - المرجع نفسه، ص104.

³ - ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، مرجع سابق، ص324.

⁴ - المرجع نفسه، ص324.

و صورةٌ ثم كلمة و تعبيرٌ" و من هنا عودتنا أن نرى رجال الفكر واللسان والقلم هم الذين يهيئون الشعوب للثورات، ثم تندفع إليها ثم هم يظنون يؤججون العواطف حتى تحقق مبتغاها"¹، وخير مثال على ذلك ثورتنا التحريرية التي تأججت في عقول المفكرين و الكتاب والشعراء في دروسهم قبل خروجها إلى أرض الواقع، فهي الإحساس القوي الدفاق الذي يجري في دماهم و ينساب في عروقهم قويا حاراً، ثم يتحول إلى كلمة أو قصيدة ملتهبة أو صورة ناطقة معبرة تفجر الحماس و تثير الحمية.

وهكذا فالثورة التحريرية لم تكن خرساء تجمجم بالقنابل و تزمجر بالرصاص وتستثير الحزن و الألم بالأنات والآهات، وإنما كانت تعبر أفصح تعبير وأبينه وأعمقه عن زحفها المقدس ونارها المستعرة، ونورها المتفجر وفجرها الواعي ومآسيها وفواجعها"².

2 - حالة الشعب الجزائري قبيل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

كانت البلاد تزخر تحت الاستعمار الذي كان فيها فساداً منذ تسعة وخمسون سنة بجيوشه المتوغلة في سائر أرجاء الوطن و مبشريه و إعلامه يزرعون أفكارهم المخدرة بغية تسميم دماء الأصالة السارية في أوصال الشعب الجزائري منذ الأزل.

كان الظلام منتشراً انتشار الرعب و الهلع و ذلك بالقضاء على مؤسسات الإحسان وتهديم المدارس وتشتت الطلاب وانطفاء الأنوار، ومعنى ذلك أنهم ردوا المجتمع الجزائري أكثر بؤساً و همجية مما كان عليه قبل أن يعرف الاستعمار الذي لم يترك بالجزائر وسيلة من وسائل الإبادة النفسية و العقلية لتشويه المقومات الشخصية الذاتية و لم يترك لونا من ألوان الإرهاب إلا واستعمله معه.

* الحالة السياسية: لقد كان الوضع السياسي في بادئ الأمر قبل الثورة متدهور في

¹ - محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر،

2012، ص11.

² - المرجع نفسه، ص14.

شكله العام حيث نجد أن فرنسا كانت تخشى على مصيرها في الجزائر مما جعلها تعمل على تنظيم عمليات للغزو و حتى تحقق هدفها اضطرت إلى توظيف حكام مدنيين متعصبين بدلاً من ولاية عسكريين، إلى جانب سعيها إلى اكتساب ودّ العرب من خلال الدعاية الخارجية والداخلية وغيرها فطلت هذه الدعاية " مقرونة بالإغراء حيناً والتهديد أحياناً أخرى تخدر الجزائريين، و تضع على أعينهم ضباباً كثيفاً يحجب عنهم آمالهم ومستقبلهم ولكن هذا الضباب لم يلبث أن بدا ينحصر شيئاً فشيئاً على أثر الانتباه البطيء بالألم الذي كان يخرّ في نفوس الجزائريين ثم على أثر تلك الاضطرابات التي كانت تقع في فرنسا ذاتها حيث أن الصراع على أشده بين أنصار الإمبراطورية الراحلة وأنصار الجمهورية الثالثة التي كانت تكنّ حقداً كبيراً للجزائريين. وأخيراً بدأ الانتباه الوطني على أثر ذلك الصراع الدامي الذي كان بين فرنسا من جهة وبين ألمانيا من جهة أخرى"¹.

كما نلمس مصدراً آخر لفت انتباه الشعب الجزائري إلى وضعه المزري الذي آلى إليه و المتمثل في " الحرب العنيفة بين تركيا وبين جيرانها والتأثرين عليها، الأمر الذي أدى إلى إثارة الوطنيين نحو أنفسهم و نحو عروبتهم و دينهم، إذ أن الشعور السائد آنذاك هو أن سبب تلك الحروب يرجع إلى فكرة صليبية كون أن تركيا كانت رمزاً للدفاع عن الإسلام، والخلافة فلماذا لا تتجه إليها الأنظار وتحظى بالعطف من شعب مغلوب عليه وعلى أمره؟ وبالتالي نجد الكثير من الجزائريين يلجئون إلى الأستانة أو إلى مصر والشام، حيث الأخوة الشرقية والترابط الروحي"².

لقد كان الوجود الاستعماري منذ احتلال البلاد حملاً ثقيلاً، وضغطاً كبيراً جثم على كاهل الشعب الجزائري بكل ويلاته و مصائبه وقد زاد هذا الحمل طغياناً كبيراً حينما أثبت النضال السياسي عقمه بعد فشل الحركات السياسية في الوصول إلى تحقيق مطامع الجزائريين بالطرق السلمية" وطوال هذه المدة لم يلتفت الشعب الجزائري إلى ما كان يفرض عليه من

¹ . أبو قاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.3، 1984 ، ص71.

² - المرجع نفسه، ص 71.

قوانين وأنظمة ومراسيم نظرا لاعتقاده الصارم بتفاهة هذه المراسيم وعدم انسجامها مع حرصه على الاستقلال التام¹، وبمجرد التجاوب والتراسل بين الشعب الجزائري وأشقائه شرعت فرنسا على تجديد قبضتها عليه حتى لا يظهر الواقع الأليم للعلن، وأن ذلك لم يمنع من تلاحم وحدة الشعب الجزائري، وخاصة بعد مشاركته في التجنيد الإجباري الذي دعت إليه فرنسا مغتتماً هذه الفرصة للتعبير عما يجيش في نفوسهم فتشكل على إثرها وفدا ممثلاً لصوت الشعب ومطالبه السياسية.

"أبدت الجزائر مشاركتها إلى جانب فرنسا في الحرب معلقة آمالها في الحرية والكرامة، لكن ذلك آلى دون جدوى حيث كانت الوعود الفرنسية الكاذبة في مجملها مخيبة لآمال هذا الشعب الذي أدى إلى تضافر الجهود الوطنية التي اتخذت في بادئ أمرها حرمان ذات طابع سياسي مثل نجم شمال إفريقيا الذي أصبح فيما بعد يعرف بحزب الشعب، إلى جانب الحركة الإصلاحية التي ظهرت باسم جمعية العلماء المسلمين وهذا ما زاد الشعب وعياً وبقظة في تمسكه بهدفه الأسمى (الاستقلال) كما شكلت مؤتمرات شعبية تعكس مدى ترابط الشعب في فكره الوطني، وأبرز مثال على ذلك المؤتمر الإسلامي 1936م، كما لا ننسى الدعوات التي كان لها تأثيراً بليغاً في نفس الشعب كالدعوى إلى الاندماج، وعلى العموم كانت هذه الهيئات الجزائرية هيئات سليمة لا تزال معلقة آمالها الوطنية على انتصار الحلفاء ساعة جراً ذلك إلى تكوين وحدة قومية، وبعد الحرب العالمية الثانية دخلت الحركة الوطنية في مشادة حزبية فيما بينها من جهة وبينها وبين الاستعمار من جهة أخرى وخاصة بعد مجازر 8 ماي 1945م، برز ضغط الشعب على هذه الحركة التي لم تصبوا إلى غايتها المنشودة وبذلك كانت الثورة الجزائرية الكبرى السبيل الوحيد لتحقيق الاستقلال في إطار ما عرف بالحركات التحررية"².

¹ - صالح فركوس: تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط،

2005، ص 01.

² . ينظر: أبو قاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد، مرجع سابق، ص 74.73.72.

* الحالة الثقافية: منذ أن وطأ المستعمر أرض الجزائر أخذ يخرب القيم الروحية هناك فحاولوا وضع حاجز بين الشعب الجزائري وبين أشقائه العرب شرقاً وغرباً، وذلك بمحو الخصائص الحضارية للشعب الجزائري الأبوي بإدماجه نهائياً في الحياة الفرنسية، حيث نزلت هذه الأخيرة منذ الاحتلال بمحاربة الثقافة الجزائرية ومحو مراكزها التي شهدت خراباً كبيراً خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

ولقد " قضى الاستعمار على الدين الإسلامي وأوقافه وحاصر اللغة وحارب كل فكر إصلاحي وفسح المجال للطرقية والتبشير خدمة للرعاية وتمكيننا له في أراضي غيره"¹ ، فإنّ البلاد تعاني من شبح فقدان أهم المقومات الأساسية لأن الاستعمار صوب بنادقه ومدافعه منذ البداية نحو مراكز العلم والمعرفة بتدبير مسبق فتركزوا في الجزائر واستولوا على المعاهد وحولوها إلى دكاكين أو ثكنات أو مرابط للخيل كما استحوذوا على أوقاف المساجد والمعاهد، وما يعزز هذه الفكرة ما جاء في تقرير لجنة التحقيق البرلمانية في نوفمبر 1883م الذي أورده محمد صالح الصديق في كتابه شخصيات فكرية وأدبية ما يلي: " لقد استحوذنا على الأوقاف الدينية، ونهبنا الممتلكات التي وعدنا باحترامها، كما وضعنا أيدينا على الممتلكات الخاصة من غير أن نعطي لأصحابها أيّ تعويض، بل لقد ذهبنا إلى أبعد من ذلك في بعض الأحيان، فأجبرنا أصحاب الأملاك التي استحوذنا عليها أن يدفعوا ثمن تهديم ديارهم بل وحتى ثمن تهديم المساجد، لقد اعتدينا على حرمة المساجد والمقابر والمنازل والأماكن المقدسة عند المسلمين"² فالمستعمر حاول اغتيال اللغة العربية وإدراج اللغة الفرنسية بالدرجة الأولى إلا معتقياً لم ينجوا من حذر المحافظين وقسوتهم في تمسكهم بعروبيتهم، وهذا ما جعل الفرنسيون يزوجون بين اللغتين ، إذ يتبين لنا أن "الاستعمار لم يستطع مسح اللغة العربية في الجزائر، غير أنه أوجد لها منافساً هي اللغة الفرنسية التي تعلمها الجزائريون في المدارس، وكانت له السلطة والإدارة والمجتمع المتمدن والتجارة ، وهذه الازدواجية كانت

¹ - محمد كناي: الشعر الجزائري الحديث (1925-1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (1993-1994م)، ص 168.

² - محمد صالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص 226.

كسلاح ذي حدين فقد ساهمت في إغناء ثقافة الجزائري المتعلم ولكنها في الوقت نفسه زادت غريته وتمزقه الحضاري والاجتماعي¹. فلم تكتفي فرنسا بالغزو العسكري والاضطهاد والحرمان فقط، وإنما شملته إلى الغزو الثقافي الذي لم يستحوذ عقول الناس بل تعداها إلى نظم المدارس والجامعات، وهذا لم يكن عبثا بل قامت به السلطات الفرنسية بطريقة محكمة ومنظمة، أي أن أي شيء قامت به فرنسا لم يكن بدافع تقديم التمدن والتحضر للجزائر، وإنما من أجل محو قومياتها الشخصية، "... وبذلك وجد الناس أنفسهم مضطرين إلى تعلم اللغة الفرنسية واكتساب الدرجات العلمية والحصول على الشهادات ونحوها مما يضمن للفرد قوته وعيشه، ويخرجه من جحور الجبال وظلماتها إلى أنوار المدينة المنبثقة من أوروبا كما كان يدعي الاحتلال"²، ضف إلى ذلك فمن دلالات قذارة الاستعمار الفرنسي وفضاعته، إقصاء أبناء الشعب عن المدارس والجامعات ثم بدأت تشوه صورة الثقافة في عقول المواطنين وأذواقهم، "وكان هذا الغزو طبقا لعملية منظمة بدأت منذ لحظة الاحتلال واستمرت عبر السنين تغذي العقول بالكره للثقافة القومية وإظهار مساوئها وجمودها، وترغيب الناس عنها، وحملهم على الإقترءاء بالغة وتحويل ثقافتهم ونظمهم وآدابهم"³، ونتيجة زيف الوعود الفرنسية الكاذبة التي انجر تحتها الشعب الأبوي جراء المستعمر الغاشم، فقد عاش أضع حياة تحت نظام استعماري سيئ بحجة تمدينه، ولم يكتف الغزاة الفرنسيون بهذه المظالم الشدية.

" فكان الشعب الجزائري إبان فترة الاستعمار ممزقا ثقافيا بين ما يعرف بالثقافة الأجنبية والثقافة القومية إذ كانت عقيدة طبقة معينة من الناس المتعودة العيش بالمؤهلات والدرجات عكس عقيدة السواد الأعظم من الشعب الجزائري الذي فضل الإبقاء على الوسائل البدائية للحفاظ على تراث اللغة ومراكزها بشتى الوسائل ولو في أسوأ حالته، فظلت اللغة العربية

¹ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 203.

² - أبوقاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 79.

³ - المرجع نفسه، ص 78.

على حالتها الأولى مما انعكست سلبيا على حياة الشعب اليومية فأصبحت رمز الدين ووسيلة لحفظ القرآن لا غير وذلك راجع إلى جمود وتحجر القائمين عليها في الزوايا والبيوت الخيرية عن مسايرة العدو في نهضتها، وهذا ما زاد من وتيرة الصراع على سيادة الثقافة بين المستعمرين والوطنيين في إكراههم لتعلم الفرنسية وهذا ما جعل المحتل يطمئن إلى هذه النهاية لكن هذا الاطمئنان بدأ يتلاشى شيئا فشيئا بمجيء رجل الإصلاح عبد الحميد ابن باديس الذي دعا إلى النهضة القومية الثقافية عن طريق إحياء اللغة العربية، وفهم الدين فهماً جيداً يتلاءم وظروف العصر إذ وجد تجاوبا كبيرا من قبل الأدباء والشعراء والخطباء أمثال الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني، ضف إلى ذلك التقاف النشء الجديد حوله الذي أخذ يضع أفكاره ومبادئه وقد تعاونوا معه في إخراج الجمعية إلى الوجود التي شاركت بوجهين الأول: وجه ثقافي إصلاحي يتصل بالدين واللغة... وهذا الأخير الذي يحميها مؤقتا من التصادم المباشر مع الاستعمار، أما الوجه الثاني سياسي نضالي يلتقي مع شعارات الأحزاب الأخرى في كثير من الأهداف، غير أن الاستعمار تفتن لذلك فعطل مجهوداتها ووجه إليها اتهامات كغيرها من المنظمات السياسية والأحقق بها خصوم كثيرون جراء هذا الوعي المتزايد نتيجة لأعمالها وتوسعها، كمل أضافت خصوصية جديدة من بعض الأحزاب الوطنية كونها لم تلتزم بالحياد إزاء المشاكل الحزبية¹.

لم يرحم الاحتلال خزائن الثقافة، فنهب جنوده الكثير من المخطوطات العربية القيمة، وقد تحدث أحمد الطالب الإبراهيمي مطولا عما اعتبره تخريبا للإرث الثقافي في الجزائر فقال: "فبعد أن استطاع المستعمر إيجاد شعب عاجز عن إعادة صورة ماضيه، وبعد أن أطفأ فيه وعيه لقيمة وقيمه، ثبت في ذهنه وبواسطة المدرسة الفرنسية عادات جديدة في التفكير والشعور والعمل"²، فحاول الاستعمار جاهدا طمس هذه الثقافة وتبديل شخصيتها وذلك إما وذلك إما لوجود فراقا ثقافيا هائلا في صفوف عامة الشعب أو اضطرابا شنت

¹ - ينظر: أبو قاسم سعد الله، شاعر الجزائر، مرجع سابق، ص 81,80,79.

² - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 40.

صفوف المتعلمين، فقد أُلّف الاحتلال الكثير من المخطوطات العربية القيمة وذلك بشهادة رجال ألماني ((هوموريس قاغثر))... وذكر قاغثر في كتابه رحلات في ولاية الجزائر أن جنود فرنسا قد أُلّفوا عددا من المخطوطات النفيسة...¹. ولم تكتف السلطات الاستعمارية بذلك بل داست على كل الحقوق والأعراف الإنسانية وذلك بقتل المثقفين الجزائريين ونفي العلماء الذين وقفوا لها بالمرصاد ، والذي أدى بدور إلى استفادة أبناء المعمرين من تلقي العلم والمعرفة عكس أبناء الجزائر الذين وجدوا أنفسهم ممزقين بين الثقافة الاستعمارية والثقافة العربية الإسلامية من جهل وأمية وانفصام للشخصية، وبدأ يشعر بخيبة للأمل من افتقاره إلى معرفة الأساليب، والتأييد الذي كان يلقاه المستوطنين، فبدأ له الجهاد هو الوسيلة الوحيدة لتحرير وطنه من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية، "وهكذا أصبحت فرنسا المسيحية تتصرف حسب هواها في شؤون المساجد والقضاء، فلا تعيين مفتى أو إماما أو مؤذنا إلا إذا رغب في التجسس على إخوانه المسلمين حتى ولو أدى به ذلك إلى الخروج عن دينه، لأنه لا يرتقي في الدرجة إلا بعد أن يثبت قدرا كبيرا من الحماس والإخلاص للإدارة الفرنسية ولو على حساب دينه"²، ففي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تستجمع شتى الوسائل على تشجيع الفجور وأنواع الانحراف لصرف الشباب الجزائري في تحرير بلاده من الظلم والطغيان، كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعد الأرضية وتهيئ للثورة في الدفاع عن الدين الإسلامي ومبادئه وبناء جيل طيب الأعراف يسموا بأخلاقه باعتبار أن الأخلاق أساس بقاء الأمم وزوالها يعني زوال الأمة.

* **الحالة الاجتماعية:** لم تكن مهمة هؤلاء المبشرين مهمة إنسانية، كما قد يبدو بل كانت مهمة سياسية استعمارية تعمل تحت شعار الدين والأخلاق والإنسانية "إذ كانت الخطة الاستعمارية تعمل على إبقاء النظام القبلي، وتنمية الروح العنصرية والطائفية كما كانت تعمل على تسليط المشعوذين من رجال الدين على عقل الشعب البسيط، وقد نجحت هذه

¹ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، المرجع سابق، ص 40.

² - صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص 425.

الخطة مدة ولكن الحركات الوطنية سرعان ما قضت عليها، فعمل السياسيون على تجميع الشعب وتوجيهه وجهة واحدة وعمل المصلحون للقضاء على الشعوذة والتجارة بالعقول والعواطف، كما ساعدت الآلام المشتركة على تقوية الإحساس بالوحدة وبغض الاضطهاد بكافة ألوانه¹.

ونتيجة تزايد عدد السكان الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية وتركيز الثروة والأراضي في أيدي المستوطنين أدى إلى فقر عام ضارب، نتيجة نهب فرنسا لخيراتنا ورصدها لمصالحها العدوانية وقد صرح أحد الفرنسيين عند زيارته لها في الشؤون الزراعية قائلاً: "الجزائر بوسعها إعالة أربعين مليون نسمة، فكيف ينتشر الفقر إذ وتسود البطالة أنحاء البلاد"²، فانتشار البطالة أدى إلى نقص اليد العاملة في الحقول والدوائر الحكومية وبالتالي زيادة في التذمر والسخط، ونتيجة لهذه السياسة الجهنمية القاضية بتجويع الشباب الجزائري عمد الاستعمار إلى جلب اليد العاملة الأوروبية في الجزائر، الأمر الذي جعل فكرة الثورة تختمر في أذهان الشباب، "فقد كانت سياسة التفجير المعتمدة من قد أدت إلى هجرة الجزائريين إلى فرنسا للبحث عن لقمة العيش ولم تؤدي تلك الهجرة بالرغم من الفقر إلى انتشار الشيوعية بين هؤلاء البؤساء، بل كانت روح الإيمان والتثبت بقيم الإسلام ومبادئه - دوماً - الحصن الحصين والدرع المتين لهذا الشعب من الوقوع في الإثراك أو الإلحاد أو التخلي عن دينه بالرغم من كل شيء..."³، فقد مارس الغزاة المحتلين القمع بكل أنواعه على الشعب الجزائري وذلك بفرض هيمنتهم تحت عنوان التمدن والتحضّر لكن الواقع كان عكس ذلك إذ اشتدت قساوتهم وحقدهم فما كان على المجتمع الجزائري إلا معاشة هذه الوحوش الضارية لسوء حظها ورفضه الصارم للانحناء له فضلاً عن الاستسلام، فقد قال ((المارشال بيجو)) عن معاملة الجزائريين "ولما كان تمدينهم غير ممكن فيجب أن نحشدتهم بعيداً

¹ - أبوقاسم سعد الله ، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص 75.

² -صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال(المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص 423.

³ - المرجع نفسه، ص 424.

مثل الحيوانات المتوحشة التي لا تجاور المساكن الآهلة إنه يجب أن يتعدوا إلى أعماق الصحراء ،حتى يتركوا الطريق لمنشآتنا العصرية ويرمى بهم إلى الأبد إلى أقاصي الرمال"¹، فقد استبقت فرنسا الصحراء ومناطق الجنوب تحت الحكم العسكري طيلة عصر الاحتلال، فجماعة المستوطنون أقلية تمتعوا بحقوق حرمت منها الأكثرية الجزائرية، الذي أدى بدوره إلى تآزم الأوضاع الاجتماعية، وانتشار موبقات المجتمع من فقر وبطالة وأمراض وغيرها، ففي عام 1913م كتب ياج إلى ويلسون: "مستقبل العالم الثالث لنا، ماذا سنفعل حين تصبح الهيمنة على العالم قريبا بين أيدينا"²، وفي هذا الجحيم عانى الشعب الجزائري كثيرا من الأمراض والفقر، وحلت به النكبات الجسام كالجوائح والزلازل والمجاعات المبيدة، وزاد من مدة هذه النكبات ووقعها: "تجريد الشعب الجزائري من أملاكه وأرضه، وترك أبنائه نهب القضاء، يعملون أجزاء، أو ينتظرون مصيرهم المظلم تحت رحمة البؤس والبطالة، وقد أدى هذا اللون من الحياة القائمة إلى الهجرة من الجزائر، فهاجرت أسر بأكملها إلى الشرق، ورحل الشبان والكهول يلتمسون الرزق في فرنسا ذاتها حيث المصانع والمعامل، وحيث لا يشعرون بالغربة التي يشعرون بها في وطنهم"³.

فبدأت معاملات المبشرين الفرنسيين تشتد شيئا فشيئا اتجاه الشعب الجزائري الذي أخذ يفقد تماسكه، والأهم من ذلك أن هذا النظام المحافظ أصبح مهددا وخاصة بعد التزاوج الذي كان بين أولئك المهاجرين الفرنسيات التي كان يعود إليها نسب الأبناء لكن لولا ذلك الوعي السياسي والثقافي للحركة الوطنية، لكانت الأسر العربية ضحية التخطيط الاستعماري القائم على الاستيلاء على المراكز الإسلامية المقدسة إلى جانب الأوقاف الإسلامية كونها مصدر رزق للفئة المحتاجة من أبناء الشعب، وكرد فعل للجزائريين المسلمين أن قاموا بتجميع إمكانياتهم، وهذا جزء من خطاب عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين

¹ - محمد صالح صديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير، مرجع سابق، ص225.

² - ايميه سيزير: خطاب حول الاستثمار، تر: ميشال منطوق، طبع ANEP، الجزائر، د.ط، 2007. ص58.

³ - أبوقاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص75.

الجزائريين الذي ألقاه في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقى بالعاصمة يوم الأحد 11 رجب 1355 هـ و 27 سبتمبر حيث جاء فيه: "أيها الإخوة هذا العالم عالم الكون والفساد، فكل كائن فيه فهو معرض للخروج عن حالته الأصلية واختلال أصل نظامه وتلك هي حالة الفساد، وإرجاعها إلى حالته الأصلية هو الإصلاح، فالمسلمون اليوم لما دانوا بعقائد الإسلام وفضائله وأعماله ونظمه على على خير لكنهم خرجوا عن أكثر ما دانوا به فكانوا بذلك الخروج في حالة فساد فلا بد من إصلاحهم بإرجاعهم إلى ما خرجوا عنه، والجمعية تدعو إلى هذا الإصلاح فدعوتها إصلاحية محضة"¹، وأسسوا بذلك مساجد جديدة سميت باسمهم (مساجد الشعب) المساجد الحرة، للتفريق بينها وبين المساجد السابقة كما حبسوا أوقافا خاصة بها.

"فقد كان الشعب الجزائري يحقق مبدأ المساواة بين طبقات المجتمع وكان ذلك نتيجة لسياسة الاحتلال الرامية إلى جعل المحتل هو السيد الوحيد وأن البقية خلقوا لخدمته، حيث كانت جل الحركات الاجتماعية في الجزائر من نقابات أو شركات أو تجمعات نسائية أو حتى المؤسسات مهددة من طرف المحتل بالزوال باستثناء بعض الجمعيات التي كانت تتخذ تسميات مثل الجمعيات الخيرية، أو مجالس الصدقة... كونها كانت تشعر الفرد بانحطاطه عن المستوى الإنساني الرفيع، بالمقابل بل كانت هناك جمعيات أبدت دورا فعال في خدمة الثقافة الوطنية أهمها: جمعية الشبيبة الإسلامية التي كان محمد العيد مديرا لمدرستها العربية وحتى أن المرأة حرمت من مشاركتها في هذه الجمعيات بسبب تحفظ المجتمع الجزائري إلى درجة التحجر، بالغت فرنسا إل أكثر من ذلك حيث سعت إلى تشويه المعتقدات وتقاليد الشعب الجزائري كالمواسم القومية والسياسية، ماعدا بعض المواسم الدينية الصوم، عيد الأضحى، المولد النبوي، ولكن بعد أن شوهاها في نفوس أبناء هذا الشعب، أصبح يتخل فيها من خلال تأليف لجان لرؤية الهلال والإعلان عن الأعياد وكان نتيجة لذلك أن اضطرب

¹ - عبد الحميد بن باديس: نصوص مختارة، مرجع سابق، ص 30.

الشعب الجزائري وأصبحت هذه المواسم الدينية سببا في التفرقة بعدما كانت رمزا للوحدة والاتفاق، إذ تطورت هذه الأزمنة وظلت تدور في دوامة رهيبية حول ذاتها ورغم ذلك إلا أنها استطاعت تجاوز هذه العراقيل لبناء مجتمع قوي ومتماسك والوصول إلى مستوى إنساني رفيع¹.

* **الحالة الاقتصادية:** لقد تجلت الحالة الاقتصادية للشعب الجزائري قبل وبعد تفجير الثورة الجزائرية، بحيث عان الشعب الجزائري من عدة مجاعات وقحوط حادة تركت آثارها السيئة على سكان الجزائر، ومن الآثار التي خلفتها: "نشر الأوبئة الفتاكة، وضياع الثروات المدخرة، وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط المختلفة والديون التي تراكمت بسبب الضرائب العقارية غير المدفوعة مما جعل الجزائريون يلجئون إلى البنوك للأخذ منها. وتوالت الأزمات الاقتصادية على البلاد حتى عام 1946م، حتى رفع مكتب قسنطينة تقريره، مبينا أن الزراعة عانت الكثير نتيجة اكتساح الجراد لها.

وقد صادفت تلك الأزمات الاقتصادية هجرة الأوربيين إلى البلاد بشكل عام، حيث كان همهم الوحيد هو تجريد الأهالي من أراضيهم بمختلف الوسائل واستغلالها. واستمرت أزمة المجاعة من عام 1845م إلى غاية 1850م، فكانت سنواتها عسيرة وسيئة للغاية ظل خلالها الجزائريون يعانون البؤس والحرمان، وبالإضافة إلى هذا كله فقد زاد الوضع سوءا أن حدث انقلاب فلاح في القطر الجزائري بمقتضى المرسوم الإمبراطوري المؤرخ في 22 أبريل، الذي حطم القنابل في ممتلكاتها التي أخذت منها بالغضب والقهر، فقد عرفت البلاد أزمة اقتصادية أخرى، فكانت تلك السنوات في حياة الأهالي من أحلك السنوات، وبعد كل هذه الحياة الاقتصادية المريعة والفاصلة التي عاشها الشعب الجزائري، كانت تتبعها الأزمات والهالك للعديد من الأسر الجزائرية حتى كان من الصعب تقدير الموتى والضحايا²، فالسلطات الاستعمارية كانت تسعى إلى حمل الفلاحين الجزائريين على القناعة

¹ - ينظر: أبو قاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق، ص76، 77، 78.

² - ينظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص341، 342.

بالمزروعات الصناعية الاستعمارية وتقويض تقاليدهم الفلاحية، إذ تركز اهتمامهم على زراعة القطن والدخان وغيرهما" إن الفلاحة هي أولى مصالح الدولة، بل ينبغي القول أنها أولى المصالح الإنسانية... والأرض الإفريقية(القطر الجزائري)، تفسيح المجال للزراعة الحرة، لأنها تحض بهذا الامتياز خصوبة الأراضي، فضلا عن ثروات تلك الأرض وما تكتنزه من خيرات..، إذن فهدفنا الأسمى هو استغلالها عن طريق السرب... وذلك بتعليمهم استخدام وسائلنا الفلاحية، ولأجل هذا الغرض ينبغي إنشاء صيغة نموذجية من طرف كل مكتب عربي... حتى تصبح مدرسة فلاحية لتعميم طرقنا الفلاحية"¹، فهدف الاستعمار هو تلقين الفلاحين الجزائريين كانوا مثقلين بكل وسائل وطرق الفلاحة الاستعمارية، حيث يستغل ويستفيد لوحده هذا المردود، فالفلاحين الجزائريين كانوا مثل بكل وسائل التعسف والاضطهاد فضلا عن الطرق الفلاحية المتناقضة التي تملى عليهم ظلما وقهرا، ولأن المستفيد منها الوحيد هو الاستعمار نفسه، وما التفكير في شأن الفلاحين الجزائريين إلا من أجل استخدام نظام الضياع هذا في الوقت الذي كانت فيه" إدارة أملاك الدولة تبحث عن كل الأراضي التي يمكن أن تطالب فيها بحقوق الدولة"²، ولم تترك المخططات الاستيطانية بالقطر سوى المناطق الجبلية، واستمرت هجرة الجزائريين ولم يكثرث المعمرون لبؤس الأهالي الذين كانوا يعانون من ظواهر عدة المجاعة وانتشار الأوبئة التي ما فتئت تعصف وتفتك بمئات الآلاف من السكان، كما طبقت عليهم سياسة الزجر والإرهاب وبالغت في قسوتها وتجاوزت كل حدود المنطق والمعقول.

أما من الناحية التجارية فقد سيطرت الرأسمالية الاستعمارية على السوق الجزائري، وفتحت المجال للبضائع الفرنسية لتقتضي على الصناعات الأهلية وإنتاج الأهالي، ثم احتكار النقل البري والبحري بعد ذلك، ونتيجة ذلك" أخذت البضائع الفرنسية تغمر أسواق الجزائر بشكل واسع، وتحطمت الصناعات الأهلية خاصة بعد أن طرد العمال والفلاحون من

¹ - ينظر: صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال(المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص 343.

² - المرجع نفسه، ص 347.

أراضيهم ووظائفهم فانهارت بذلك القوة الشرائية وتحطم رأسمالية التجارة والحرفيين الجزائريين¹، فقد حدثت في العهد الاستعماري عدة مجاعات وقحوط حادة تركت أثارها السيئة على سكان الجزائر، وضياع الثروات المدخرة، وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط المختلفة والديون التي تراكمت بسبب الضرائب العقارية غير المدفوعة، وقد توالى الأزمات الاقتصادية في الجزائر إذ عرف الجزائريون أحلك الظروف وأصعبها إذ راح الكثير منهم ضحيتها، ناهيك عن ظلم وقهر الاستعمار الذي زرع الموت والدمار، ضف إلى ذلك فبعد أن انتزع الفرنسيون الخيرات الجزائرية من أيدي الغرب لجئوا إلى بديل آخر ألا وهو تجريدهم من مصدر موارهم نفسه باعتبار أن جوهر الاستعمار قائم على الاقتصاد² وقد ولد من ظروف اقتصادية مما تحت دفع البضائع، واتخذ وجوده في الاستغلال الاقتصادي للأرض وما تحت الأرض والشعب الجزائري².

فالمنتجات الفرنسية من خلال تزايدها وكثرتها أدت إلى إيقاف المصنوعات الجزائرية شيئاً فشيئاً وتخفيف الأسعار حكم على الصناع بالتخلي عن أماكنهم وإغلاق مصانعهم مما أدى إلى زوال الأسواق وحلت محلها حوانيت عصرية أوروبية، فكانت نتيجة كل هذا القضاء على الصناعة اليدوية الجزائرية قضاء مبرما، ومهما يكن من أمر فتلك الظروف كلها كانت عوامل قوية في تفجير ثورة نوفمبر التي لم يحسب الاستعمار لها حسابا أو يقدر لها تقديرا بحيث ستقضي به في النهاية إلى خروجه من الجزائر ذليلا مدحورا.

3 - نبذة عن أهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لكل أمة رجال مخلصون يقفون إلى جانب شعوبهم وقت الشدائد والمحن، وإذا حق للجزائر أن تفتخر بأبطالها أمثال الأمير عبد القادر والمقراني وغيرهم فمن واجب أبنائنا أن يعرفوا هؤلاء الرجال الذين يعتبرون رموزا ومعالم تاريخية في مسيرة البلاد.

¹- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830-1954م، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008، ص 63.

²- المرجع نفسه، ص 81.

* الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940م): هو معلم حضاري حي، كان مصباح البلد في ليها المظلم الطويل الذي فرضه المستعمر الفرنسي،" ولد ونشأ بمدينة قسنطينة، وأكمل تعليمه بجامع الزيتونة بتونس (1908-1912)، وهو رائد الفكر الإسلامي المعاصر، زار المشرق وتعرف على أحواله، فتولدت لديه نزعة أو فكرة إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عندما التقى بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالمدينة المنورة (1913)، وبعد عودته إلى وطنه كرس حياته لخدمة الإسلام وإحياء اللغة العربية بالجزائر والدفاع عن حرية الجزائريين"¹

كما أنه بدأ فكره الإصلاحية "بإلقاء الدروس على العامة، وتعليم النشء ثم أسس مدرسة التربية والتعليم، وإنشاء المطبعة الإسلامية بقسنطينة (1924م)، وأصدر صحيفتي المنتقد ثم الشهاب، فتعلقت به العامة، وأقبل عليه الطلبة والتف حوله رجال الدين ذوو الميل الإصلاحية، مما ساعد على تكوين جمعية العلماء 1931م، التي اختير رئيسا لها فنجح في جمع الشمل واتخذ مواقف جعلت الجمعية طرفا مؤثرا في الحياة السياسية الجزائرية وأثناء ذلك حرص على التعبير عن مواقفه المدافعة عن العروبة والإسلام في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء"²، وهو يرى أن "الجهاد الأكبر موضوعه النفس ووسيلته القرآن وغايته صنع الفرد المؤمن وتخريج المسلم صحيح العقيدة"³، كما قام ابن باديس بتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث النبوي وقد نشر التفسير والشرح بعنوان "مجالس التذكير من كلام الحكم الخبير وحديث البشير النذير"⁴، تباعا في جريدة الشهاب (1929-1939م) وطبعته مؤخرا وزارة الشؤون الدينية بالجزائر 1981م.

¹ - ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، مرجع سابق، ص 218.

² - المرجع نفسه، ص 218.

³ - عشراني سليمان: ابن باديس (مخاضات العبور إلى الصدور الأخرى قراءة في تفاصيل المسيرة نحو خط النار مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005، ص75.

⁴ - المرجع نفسه، ص 218.

* محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965م): يعتبر البشير الإبراهيمي أديب ومجاهد " والشخصية الثانية في الحركة الإصلاحية وجمعية العلماء بعد ابن باديس، فقد كان أول نائب لرئيس الجمعية وآخر رئيس لها بعد وفاة رئيسها عبد الحميد بن باديس¹. فهو من مواليد "جوان 1889م، في قبيلة أولاد إبراهيم بالقرب من رأس الوادي (ولاية سطيف)²، بعائلة محافظة عريقة بالعلم والأدب، ما ساعده على على النبوغ الفكري تعرض للنفي " إلى الصحراء الورانية في أوائل 1940م، بوفاة ابن باديس في السنة نفسها، انتخب رئيسا لجمعية العلماء وهو مازال في المعتقل³، زيادة على ذلك فهو يعتبر رائدا للثقافة العربية الإسلامية بالجزائر، فعندما هاجر إلى المشرق بعد خروج من السجن العسكري، عاد بعدها إلى أرض الوطن أي بعد الاستقلال " عاد إلى الجزائر المتحررة سنة 1962، ولم يستقر فيها إذ وافته المنية في العشرين من أيار 1965⁴.

فقد كان بحق مثالا للجهاد والمقاومة بالقلم فقد ترك لنا العديد من الآثار التي تحسب له ف" بجانب كل ما تقدم من جهود الشيخ في مختلف المجالات، وإيراد كل الصفات والأخلاق التي يتمتع بها والتي كانت السبب في تفوقه والنجاح في حياته، سجل للتاريخ صفة لا يعرفها الكثير عنه، ألا وهي الشهامة وعزة النفس، وإيثار مصلحة الوطن على كل مصلحة، وهي صفات قد تجمعها كلها كلمة (الرجولة)⁵.

* الشيخ الطيب العقبي (1889-1959م): يعتبر الشيخ الطيب العقبي الشخصية الثالثة بعد ابن باديس والإبراهيمي قبل أن ينفصل عن الجمعية سنة 1938 م، فالعلامة

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 89.

³ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 396.

⁴ - المرجع نفسه، ص 396.

⁵ - محمد صالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير، مرجع سابق، ص 136.

المصلح من مواليد 1889 م، " بقرية سيدي عقبة مدينة بسكرة جنوب قسنطينة"¹، فقد قضى مرحلة شبابه الأول في الحجاز " صحبة عائلته بالحجاز 1895...، وبالمدينة نهل من المعارف العربية المختلفة وتشبع بمبادئ الإسلام الصحيحة الصافية"²، فتواجهه في الشرق زاده تمسكا بالمقومات الإسلامية،" كان ممثلا لجمعية العلماء في مدينة الجزائر تأثر بقول محمد عبده ((وما دخلت السياسة أمرا إلا أفسدته))، فتجنب السياسة وناضل في مجال الإصلاح الديني"³.

كما أنه من أبرز خطباء الجمعية، حيث لقبه الجزائريون " مروض مدينة الجزائر"⁴، فقد كان مهتما بتفسير القرآن الكريم إذ أسس جريدة تحت اسم الإصلاح.

وبعد انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين" تولى تحرير جرائدها للعربية، واشتهر بحملاته العنيفة على الطرقيين والمضللين والدعوة إلى تحديد الإسلام واللغة العربية، حتى وصف بالوهابية في دعوته، تهيج الجماهير الجزائرية المسلمة في خطبة، فمنع بقرار إداري من إلقاء الدروس والمحاضرات في مساجد العاصمة"⁵، فقد اتصف بالحزم والقوة في دعوته الإسلامية وكان له أسلوب كتابي جميل أدخله في مصف رواد النهضة الأدبية في الجزائر. وفي 1959م ودعنا شيخنا إلى جوار ربه، تاركا لنا إسهاماته الفعالة في الثورة وبصماته الإصلاحية واضحة في سجل تاريخ الجزائر المعاصر، فلولا قلمه الفيض ولسانه الفصيح اللادع ضد الإدارة(أي إدارة الاحتلال) وأعانها لما تعرض للإهتمام الكبير من قبل الباحثين والدارسين.

¹ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، مرجع سابق، ص 96.

² - المرجع نفسه، ص 96.

³ - نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 400.

⁴ - المرجع نفسه، ص 400.

⁵ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى(دراسة تاريخية وإيديولوجية

مقارنة)، مرجع سابق، ص 97.

* محمد العيد آل خليفة (1904-1979م): هو محمد العيد آل خليفة بن خليفة الملقب بـ: شاعر الشباب و شاعر المغرب العربي و أمير شعراء الجزائر و شاعر النضال، الذي منح الجزائر عقله وقلبه، وخدمها بشعره وجهده، أهدى لها قلبه بكل ما كان ينبض به القلب من نبل العواطف، وقصر عليها جهده الفني، وكان شعره أصدق شعر يقدمه شاعر لوطنه" إنه شاعر ملك الجماهير وقادها وألهب حماسها وظل يصب على عواطفها شعل النار أكثر من ثلاثين سنة"¹.

"ولد سنة 1904، بعين البيضاء في مسقط رأسه ببسكرة ثم انتقل إلى تونس لمتابعة دراسته سنة 1921م، حيث قضى سنتين بجامع الزيتونة، وبدأ كتابة الشعر ثم عاد إلى الجزائر ليشارك في النهضة معلما وشاعرا، فدرس في عدة مدارس وتولى إدارتها كمدرسة الشبيبة الإسلامية ومدرسة التربية والتعليم وغيرها...، كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها، ونشر معظم الصحف إلى جانب نشاطه السياسي."²

"مما أدى به إلى السجن ثم الإقامة الجبرية ببسكرة بعد اندلاع الثورة المسلحة 1954م، حتى الاستقلال 1962م، وقد استأنف نشاطه الشعري ما نشر في الجرائد والمجلات الجزائرية"³، فقد جاب العديد من مناطق البلاد مجاهدا بالكلمة والقلم،"فوجد الشاعر نفسه منذ فجر فتوته في مواجهة المحنة العامة: استبدادا وظلما وقهرا ومسحا... فانتهى الأمر بالشاعر من البداية إلى التموقع في خندق النضال الوطني"⁴، فمحمد العيد من الشعراء المتميزين خاصة بين الجزائريين في القرن العشرين، وذلك بوفرة شعره وتعدد موضوعات هو كذلك قضاياها حيث

¹ - عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995، ص 66.

² - ينظر، المرجع نفسه، ص 66.

³ - المرجع نفسه، ص 66.

⁴ - المرجع نفسه، ص 67.

جاء في قصيدته المؤرخ لها 31 مارس 1960م ببسكرة المعنونة بـ"سأمضي... وأترك شعري"، الموجودة في ديوانه إذ قال فيها¹:

"سأمضي إلى دار البقاء كما مضت
خلائق قبلي لا تعد ولا تحصى
وأوي إلى أكناف أرحم راحم
برحمته عم الورى وبها أوصى
وأترك شعري من ورائي خالدا
عزيزا على الأجيال له الرخصا"

إلى أن توفي في 31 جويلية سنة 1979م، بباتنة ودفن بمدينة بسكرة، مخلفا أهم أثر هو ديوانه الذي حضي بدراسات مختلفة، من قبل الباحثين المعنون باسمه، الذي يعتبر بمثابة النقطة المضيئة في حياته والتميزة في مسيرة الأدب الجزائري الحديث عموما و الشعر خصوصا.

* أحمد سحنون (1906-2004 م): ولد في بسكرة سنة 1906م، تلقى مبادئ التعليم على يد والده وبيد الشيخ خير الدين وشيوخ الزوايا، اتصل بالشيخ بن باديس فكان يمه بالنصح والتوجيه إلى أن أصبح من أركان الحركة الإصلاحية في الأربعينات، وفي سنة 1936م توجه إلى العاصمة وأقام بها لإدارة مدرسة التهذيب الحرة بحي(سانت أوجين) بولوغين حاليا، وإلى ذلك كان شاعرا وكاتبا للمقالات الإصلاحية الدينية².

وكغيره من شعراء تلك الحقبة الزمنية ناضل بقلمه من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة، بدأ يكتب الشعر، فيما يبدو، بعد سن الثلاثين، أو أنه على الأقل بدأ نشر في سن غير مبكرة، فأول نعرف من شعره المنشور هذه المقطعة، حيث كانت تغازل الثانية والثلاثين³، فيما كان شعراء آخرون يقتربون من سنه لهم كتب. ويبدو أن الشاعر أحمد سحنون ظهرت له محاولات شعرية مبكرة قبيل الحرب العالمية الثانية حيث أن ابن باديس قدمه باسم الشاعر

محمد العيد آل خليفة : ديوان محمد العيد آل خليفة ، شعراء الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر د. 2010
1 535.

¹- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث(اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975م)، دار العرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1985،
ص 678,677.

³- عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومه، الجزائر، د.ط، ، 2006، ص447.

الناشئ في جريدة الشهاب عام 1938، وهي عبارة عن خمسة أبيات تحت عنوان «سلطة الألقاظ» إذ قال فيها¹:

ليس الكون سلطة يخضع النا	س لها مثل سلطة الألقاظ
فالعيون الونسي نراها ضعافا	وهي أقوى في الفتك بالأيقاظ
كم رمت أنفاسا وأصمت قلوبا	وأذلت من تائه حواظ
مذ تصدى شيطان شعري إليها	رجمته لحاظها بشواط
سحرها روت ما حوت من فتور	ليس سحر الرموز والألفاظ".

كان أحمد سحنون كعامة الشعراء الجزائريين "الذين كانوا يعيشون في فترة حياته منخرطاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عضواً فيها، معلماً بمدارسها،... وأهم من كل ذلك جميعاً كان شاعراً من شعرائها..."².

ومن إخلاصه في "في الموقف الوطني أنه تعرض للسجن على مدى أربع سنوات أثناء حرب التحرير (1956-1959)، وشعره الذي لم ينشر في «البصائر» كتبه خلال فترة السجن، وقد نشر ديوانه وهو لا يزال على قيد الحياة"³، فقد اعتقل أثناء الحرب التحريرية وتنقل بين السجون، و"بعد الاستقلال عمل كإمام أول للجامع الأعظم بالجزائر العاصمة"⁴، فارق الحياة عن عمر يناهز الثامنة والتسعون عاماً، "بمدينة الجزائر العاصمة عام 2004"⁵.

¹ عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين 446.

² - المرجع نفسه، ص 448.

³ - المرجع نفسه، ص 451.

⁴ - محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975م)، مرجع سابق، ص 678.

⁵ - عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 446.

المبحث الثاني: مدى تأثير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1- موقف الأحزاب السياسية من جمعية العلماء المسلمين:

الحقيقة أن المقاومة السياسية ابتدأت مع بداية الاحتلال، وفعليا عام 1912م نتيجة لقانون (الأنديجينا) وسياسة الاستيطان للمستوطنين وما انجر عنها من تعذيب وإبادة والاستيلاء على الأموال الوقفية ومحاربة الإسلام، وإقامة محاكم استثنائية بحيث أصبح المسلمون خاضعين لها في شؤونهم وقضاياهم، ولمعالجة هذا الفجور والظلم تكتلت مجموعة الأحزاب السياسية التي جاهدت بالقلم واللسان، وتضافرت جهودهم في رفع لواء التحدي وما حل بالبلاد من احتلال ودمار ضد المستعمر العاشم، فقد نادوا بضرورة استقلال الجزائر محملين السلطان العثماني مسؤولية الدفاع على كل شبر من التراب الإسلامي،" إن المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا في هذه التربة، سوف يسألونكم يوم الحساب لماذا تخليت عنهم...!؟... تلك هي بداية المقاومة السياسية باختصار، بالنسبة للرجال لم تكن لهم حيلة ولا وسيلة إلا وسيلة القلم واللسان محملين الحكام مغبة ما حلّ بالبلاد من احتلال و دمار".¹

وقد ظهرت في هذا الجو عوامل عديدة أثرت على الحركة وأعطتها أبعادا جديدة ووجهتها في اتجاهات عقائدية متطورة منها تتبلور القومية الإسلامية، وقيام الثورة الروسية البلشفية (1917م)، وكان لظهورها أثر بالغ في بروز تطلعات متوافقة مع الحركات التحررية العالمية وأساليبها في تحقيق أهدافها، وذلك بدخولها مرحلة جديدة من الوعي السياسي، ثم سعت هذه الأحزاب إلى تحرير البلاد بطرق شرعية، وذلك بواسطة العرائض والإضرابات... نتيجة اقتناعها بأن اللجوء إلى الثورات غير المنظمة لا يوصل إلى النتيجة المتوخاة، توالى هذه الأحزاب وتباينت توجهاتها وتعددت مطالبها، ولكن غايتهم تصبوا إلى تحقيق هدف واحد ألا وهو رد الاعتبار للشعب الجزائري واستقلال بلاده، وأهم تلك الأحزاب والكتل في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية هي: حزب المقاومة، حزب الجزائر الفتاة، كتلة المحافظين، حزب

¹ - صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص402.

النخبة، حزب الإصلاح وزعيمه الأمير خالد الجزائري، الحزب الليبرالي المعتدل من أبرز أعضائه فرحات عباس، ضف إلى ذلك نجم شمال إفريقيا: "ظهر هذا الحزب سنة 1926م، أسسه في باريس، جماعة من المهاجرين الجزائريين العمال والطلبة، كان هدفه في المرحلة الأولى المساواة المطلقة بين الجزائريين والفرنسيين، ثم طالب بالاستقلال الكامل للجزائر، وجلاء القوات الفرنسية عنها، كان هذا الحزب ثوريا اشتراكيا فنال عطف يساري فرنسا"¹.

ويضيف الدكتور فاضلي إدريس تعريفا آخر لحزب نجم شمال إفريقيا، فيقول: "هو حزب تأسس بباريس في مارس 1926م في أوساط المهاجرين العمال وأغلبهم من الجزائريين، واختير خالد رئيسا شرفيا له، وشيئا فشيئا فقد حزب النجم أعضاءه التونسيين، والمغاربة، وأصبح حركة جزائرية خالصة، كانت تتادي صراحة باستقلال الجزائر، قامت هذه الحركة التي جعلت من جريدة الأمة لسانها المعبر بقشور الماركسية والوطنية الجزائرية القائمة على العاطفة والتميزة بالحنين إلى البلاد، والاتجاه الإسلامي السطحي"²، فكان دورهم يقتصر سوى على تحريك المناضلين التابعين لهم، ودفعهم إلى العمل بإثارة الوطنية الصادقة، الميلالة إلى إصلاح الأوضاع، في اتجاه العالم الإسلامي المضطهد ونحو البلاد العربية المتعرضة للغزو الامبريالي، ورغم الاضطهاد والمضايقة تم الاتفاق بين أعضاء فرع الجزائر لنجم شمال إفريقيا الشمالية على تأسيس حزب الشعب الجزائري وقد تأسس هذا الحزب" خلال 11 - 20 مارس 1937 بأهداف لا تختلف عن أهداف حزب النجم أنشأ أول جريدة له بالعربية بعنوان (الشعب) وجريدة (الأمة) التي كانت من قبل تصدر بالفرنسية في باريس قام بأول مظاهرة تحت الراية الجزائرية، و بتاريخ 27 أوت كانت السلطات الاستعمارية له بالمرصاد فاعتقلت زعماءه وحكم على مصالي الحاج زعيم الحزب رفقة مفدي زكرياء وحسين لحول بالحبس لمدة عامين بتهمة القيام بحملة معادية لفرنسا، وكان نشاطه يجري في الجزائر على

¹ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص102.

² - فاضلي إدريس: حزب جبهة التحرير الوطني FLN عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 2004،

عكس حزب الشمال الإفريقي الذي يطالب بالاستقلال الكامل لها، في حين حزب الشعب لا يطالب إلا باستقلال الجزائر...¹.

فقد أقدمت الإدارة الاستعمارية على مصادرة جريدة الأمة، وأقرت حل حزب الشعب ومصادرة وثائقه لتعطيل ميوله وتوجهات إذ قامت باعتقال زعيم الحزب، أما البعض من قادته ومناضليه زج بهم في المعتقلات ومارست عليهم الإقامة الجبرية في المنازل، إلا أن ذلك لم يمنعهم من مواصلة مسيرتهم، حيث قاموا بردة فعل سريعة و أنشئوا إدارة في الخفاء تتولى تسيير شؤون الحزب وبقي الاتصال مستمرا مع المناضلين المعتقلين في طريق التبليغ وتوزيع نشرات دعائية مست الأهالي والمواطنين، ثم تلى هذا الحزب، الحزب الشيوعي الجزائري: " كان فرعا من الحزب الشيوعي الفرنسي، أنشئ بعد الحرب العالمية الأولى، أصبح حزبا جزائريا مستقلا سنة 1935م، لم يجذب أكثر ملحوظة في الجزائر، وقد يكون من أسباب ذلك تمسك الخط الوطني الجزائري بالدين وبالثقافة وجذوره، لكن من خلال حرب التحرير تعاون الشيوعيون مع سائر العناصر الوطنية لتحقيق أهداف الثورة"²، ثم تلتها جماعة أصدقاء البيان والحرية: "أسس هذه الحركة فرحات عباس سنة 1944 م، وكان هدفها وضع دستور لجمهورية الجزائر المستقلة ذاتيا، والمرتبطة فيدراليا مع جمهورية فرنسا المتجددة، ووقفت الحركة ضد القوى الرجعية، وضد الإقطاعيين الفرنسيين والجزائريين على السواء، ولم تستمر هذه الحركة طويلا إذ شقها خلاف داخلي بين مؤيدي مصالي الحاج المنادين باستقلال الجزائر من غير ارتباط فرنسا، ومؤيدي فرحات عباس المنادي بفكرة جمهورية الجزائر المستقلة والمتحدة فدراليا مع فرنسا"³، ثم تحول حزب الشعب الجزائري سنة 1947م، إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D عام 1946م، بعدما حلتها السلطات الاستعمارية بمناسبة الإعداد للانتخابات التي جرت خلال السنة نفسها، إن ظهور حزب

¹ - فاضلي إدريس، حزب جبهة التحرير الوطني FLN عنوان ثورة ودليل دولة، مرجع سابق، ص 44.

² - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 102.

³ - المرجع نفسه، ص 102.

الشعب تحت تسمية جديدة جعلته يحتفظ بجل كوادره ومناضليه، بتركيزهم الاجتماعية المعهودة من العمال والطبقة الكادحة، ويبقى ملتزما بنفس المطالب الاجتماعية ونفس البرنامج¹، وهذه الحركات طالبت بتعريب التعليم، وحرية الدين، وجلياء القوات الفرنسية من الجزائر، ثم تأسست بعد ذلك المنظمة الخاصة " OS في 13 نوفمبر 1947م تحضر للكفاح المسلح بعد أن وافق على ذلك الحزب في مؤتمره، وكان أول منسق لهذه المنظمة الخاصة محمد بلوزداد"²، ثم جاءت بعدها اللجنة الثورية للوحدة والعمل "سنة 1945م، على إثر الانشقاق داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ونالت تأييد الرئيس المصري جمال عبد الناصر ومساندته"³.

فكانت غاية هذه الأحزاب السياسية والتكتلات المنظمة كما هو التصدي للاحتلال، وإدراج حركتها ضمن التيارات العالمية، وذلك بانطلاقهم من أسس عميقة الأغوار كما هو الحال عند جمعية العلماء المسلمين التي جاءت عن طريق تمهيد لمجلة المنتقد التي هي لسان حال الأحرار، كما تكشف أوضاع الأمة الجزائرية بتصوير واقعهم، وما يعانيه الشعب من سوء المعيشة، وازدراء المستعمر، كما اهتمت بقضايا العالم العربي والإسلامي، وأسهمت لتتبع أمواله مما أكسبها مكانة عالية، كما أولت عناية بالجانب الإصلاحي والتربوي في تنوير الأمة وتزويدها بالتعاليم السمة وتصديها للطرقية، وما شابه من كثر شوه الإسلام وعكر صفوف المسلمين، جمعت فيها الكلمة العذبة، والحكمة البالغة، والمقصد الطيب، فقد شملت الجميع، فقد كانت لها أهمية كبيرة فيما يخص الجانب الإصلاحي والتوعوي في تنوير الجزائر وتزويدها بتعاليم الدين الإسلامي الحق لعقيدتنا، كما نقدت بعض الطرقية وما كانت عليه من شعوذة، بالإضافة إلى ما يعرف بالجانب الأدبي، ونضيف إلى هذين الجانبين الجانب السياسي " ولاسيما المحلي، فدافعت عن مرشحها في البرلمان الفرنسي، والمجالس

¹ - فاضلي إدريس: حزب جبهة التحرير الوطني FLN، عنوان ثورة ودليل دولة، مرجع سابق، ص 53.

² - المرجع نفسه، ص 55.

³ - نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، مرجع سابق، ص 102.

الولائية والبلدية، بإبراز مجهوداتهم والتعريف بمواقفهم، وأعمالهم النبيلة اتجاه مجتمعهم، والدعاية لهم وشر ما يتعرضون له من تعسف المستعمر، والمضايقة لهم كما أسهمت في توحيد آراء المرشحين، وتقارب وجهات نظرهم على كلمة واحدة، ومطالبة المستعمر بالعدالة الاجتماعية و المساواة بين المواطن الجزائري والمواطن الفرنسي في الحقوق والواجبات، والسعي على الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لهذا الوطن"¹.

فقد كانت ترصد لنا الصراع الفكري وكذا الاجتماعي التي كللت في الأخير بإنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، وثلة من مصلي وعلماء الجزائر في تلك الفترة الأخيرة التي مرت خلال فترة الدراسة بمرحلتين الأولى: "منذ نشأتها حتى سنة 1936، وقد تميزت هذه الحركة بالطابع الإصلاحية المحض، وذلك بهدف ترسيخ دعائمها في المجتمع بعيدا عن القوانين الاضطهادية، والإجراءات التعسفية من قبل الإدارة الاستعمارية"²، أما المرحلة الثانية: "فتبدأ من سنة 1936م إلى سنة 1945م، وفي هذه الفترة عرفت طفرة جديدة في مواقفها وأعمالها، حيث أصبحت تلتقي مع الأحزاب السياسية الأخرى في مناسبات متعددة مثل التجمعات والمؤتمرات، والاحتجاجات وغيرها"³، فأهداف الجمعية واضحة الاتجاهات، وذلك بتصفية ما أفسده المستعمر من دين مما علق به الشوائب، ومحاربة جمود الزوايا وتنقيف وتوعية الشعب الجزائري ومحاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها، فقد جاء في العدد 06 لمجلة المنتقد تحت عنوان الدين و الاجتماع المقرر يوم الخميس 16 محرم 1344هـ، 06 جويلية 1925م على لسان حضرة العلامة صاحب الإمضاء الطيب العقبي فقال: "وتقاوم كل معوج الأخلاق وفساد من العادات وتحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته وعاد وبال ذلك الفساد علينا فتأخرنا من

¹ - الهادي قطيش: جريدة المنتقد جريدة سلسية تهذيبية إنتقادية شعارها الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع سنة 1925، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 2009، ص 04.

² - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 475 .

³ - المرجع نفسه، ص 475.

حيث يكون وتقدمنا وسقطنا مما لا نرتفع إلا به لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه"¹، فالمنتقد كانت المنبر الوحيد في تنوير الأمة وتزويدها بالتعاليم السمحة، فقد أولت عناية بالغة بالجانب الإصلاحي والتربوي كما تصدت للطرقية في محاربة البدع والخرافات وما شابهها من كدر شوه الإسلام وعكر صفوف المسلمين، التي دفع خلالها الشعب الجزائري الملايين من أبنائه، وذاق مرارة التشرد والطرده والحرمان، ومصادرة الأراضي والأموال والأرزاق، فناله الفقر، وفتكت به الأمراض، والمجاعات فقد خلالها كرامته وعزته فأصبح محتلا يرذخ تحت نير الاستعمار الغاشم منهك القوى، وقد بدأت جمعية العلماء كجمعية دينية وانتهت كسياسية من الناحية العملية، وذلك باعتبار أن الدين والسياسة يختلطان في جميع مجالات الحياة بالنسبة للمسلمين، الأمر الذي جعل الفرنسيين يتخوفون من الجزائريين طوال وجودهم في الجزائر، "غير أن هذه الأحزاب السياسية قد تباينت اتجاهاتها و تضاربت وتضاربت اتجاه جمعية العلماء فمنهم من كان مؤيدا لمواقفها، ومنهم من كان رافضا لهذه المواقف، وهذا ما لم يمكن الجمعية من تنسيق عملها مع الحركات السياسية الجزائرية رغم محاولاتها العديدة، وذلك راجع إلى عوامل إيديولوجية وظروف سياسية مختلفة، فمثلا نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب الجزائري باعتبارهما أقل حزب وطني رفع شعار الاستقلال منذ نشأته لم ينقل عمله الرسمي إلى الجزائر إلا في النصف الثاني من عقد الثلاثينات، ومع ذلك فقد حدث بينهما تقارب ملموس قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وخلالها، ضف إلى ذلك جماعة النخبة والنواب فرغم التقارب بينهما في بعض المناسبات فإنهما لم ينسقا عملها بسبب الاختلاف الإيديولوجي والثقافي، فبينما كان العلماء يعملون على إخراج المجتمع الجزائري من بوتقة الحضارة الفرنسية التي كانت تتوعدهم بحياة سعيدة إن هم تخلو عن قوميتهم الوطنية، كانت جماعة النخبة تحاول دفع الشعب إلى الاندماج في دائرة الحضارة الفرنسية لا إخراجهم من الإجراءات التعسفية التي حرمتهم من حقوقه الشرعية، ضف إلى ذلك الحزب

¹ - الطيب العقبي: الدين والاجتماع، المنتقد، مرجع سابق، ص 99.

الشيوعي الجزائري هو الآخر لم ينسق في عمله مع العلماء رغم اقترابهم في بعض المناسبات نتيجة التباين الإيديولوجي والسياسي كذلك، فبينما كان العلماء يهدفون إلى تكوين دولة عربية إسلامية على رأسها الفقهاء معتمدين في ذلك على المسجد والمدرسة، والوعظ، والإرشاد، ودعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة بالصحف والمحاضرات، كان الشيوعيون يسعون إلى تحسين الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويقارنون بين حريات المعمرين في الاتحاد السوفيتي، وبين الحريات في فرنسا، وإقامة العدل والمساواة بين جميع السكان بغض النظر عن الدين أو العنصر أو الجنس مركزين نشاطهم وصحفهم على عمليات الاضطهاد التي تقوم بها الإدارة الفرنسية ضد الجزائريين محاولين كشف القياد و الأغوات المتعاونين معها"¹، بينما علاقة الجمعية بالطرق الصوفية وزوايا المرابطين" ظلت علاقة عدائية طوال المرحلة نتيجة الاختلاف الواضح بينهما في الوسائل والأهداف، فبينما كان المنحرفون يخدمون مصالحهم الخاصة ومصالح فرنسا معا على حساب الجماهير ويجمعون الأموال من الأوقاف ويوزعونها على أبنائهم ويعيشون منها في ترف، كان العلماء يضحون في سبيل الدين والوطن، يجمعون الأموال من الشعب، ويبنون بها المساجد والمدارس ويدفعون منها أجور المعلمين في محاربتهم لفرنسا بوسائلهم الخاصة، غير أن هذه الفئة المتعاونة مع فرنسا، قد بدأ نفوذها بالضعف والانحيار، وانجذبوا بعض قاداتهم إلى الحركة الإصلاحية الجديدة وأصبحوا من ألد الأعداء البارزين للوجود الفرنسي، فيما بقي بعضهم يعاني من إهمال السلطات الفرنسية لهم، ورغم ذلك فإن هذين الحزبين (نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب) قد بدأ ثوريا في الخارج، واستمر في الداخل حتى نهاية هذه المرحلة، ومع ذلك فإن قادت ومناضليه ظلوا ثوريين ينتظرون الفرصة المناسبة لإعلان الثورة ضد فرنسا.

¹ - ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 476,475,453.

أما جماعة النخبة والبيان، فإنها نشأت كحركة إصلاحية اندماجية تبحث عن مكان بين أفراد العائلة الفرنسية، إلا أنها انتهت بحركة معادية للاستعمار، وذلك بمساهمتها في تنوير الرأي العام الجزائري وجعله يتطلع إلى الحرية والحياة السعيدة، أما بخصوص الحزب الشيوعي الجزائري فيما بعد قد تحول إلى حركة إصلاحية تطالب بإزالة النظام الاستعماري، رغم أن أعضائه قد تعرضوا إلى عقوبات صارمة من قبل سلطات الاحتلال، وخاضع للحزب الشيوعي الفرنسي، كما أن دوره انعكس بالإيجاب ولم يكن سلبيا للمرة كونه ساهم في فضح الاستعمار وأساليبه، وأضاف إلى جود الحركات الأخرى لبنة في نشر الوعي واطلاع الجماهير على حقوقها المسلوبة، أما فيما يتعلق بالمؤتمر الإسلامي الجزائري العام، باعتباره نقطة انطلاق جديدة في تطور الحركة الوطنية، قد كشف بوضوح النوايا الاستعمارية، حتى في ظل الحكومة اليسارية التي علق الجزائريون آمالا عريضة في الحرية والمساواة، إلا أنها لم تستطع التخلص من العقدة الاستعمارية ولبه الحالك، إلا أن زعمائها لجئوا إلى البحث عن سبل من أساليب جديدة للوصول إلى غد مشرق¹، أما آخر هذه الأحزاب فقد تمثل في " حركة أحباب البيان والحرية، الذي ضم كل الاتجاهات الحرة التي رفضت الاستعمار من أول وهلة، فكانت الخط الفاصل بين المناداة بالاستقلال على أساس المبادئ الديمقراطية الفرنسية وبين حركات الكفاح المسلح التي تجسدت في نوفمبر 1954م، هذه الأخيرة التي كونت رصيذا ثقافيا وسياسيا يمثل التراث الثوري والإيديولوجية الثانية للثورة التحريرية، كون هذه الحركة قد طرحت منذ العشرينات أهم القضايا الوطنية والقومية و الاستقلال والحرية، وذوو الإسلام في الحفاظ على المقومات الشخصية الجزائرية، وموقفه من تعسف الوحوش الضارية وما خلفته في هذه البلاد، إلى جانب ذلك تصافر جهود العلماء المسلمين النيرة في إحياء اللغة العربية، وبعث التاريخ الوطني والإسلامي ونشر الوعي بين الوطن الواحد الجزائري، وهذه الجهود العلمية والأخلاقية كانت ترمي إلى بناء مجتمع قوي مسلح بالثقافة العربية

¹. ينظر: عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية إيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، 477، 478، 479.

الإسلامية، والمبادئ الوطنية لأن هذا المجتمع لا يرضى بالعبودية الاستعمارية مهما كلفه ذلك، وبالفعل قد نجحوا في ذلك في تكوين جيل مثقف واع بوجوده الحضاري الذي يميزه عن حضارة المحتل، وربط العلاقة بين الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام بفضل المدرسة، المسجد، النادي... كما استطاعت أن تظهر المجتمع في كثير من الأمراض الاجتماعية والبدع من خلال تنظيم المحاضرات العامة، وحلقات الوعظ والإرشاد، والقيام بالرحلات لنشر الدعوة في كل أنحاء القطر والعمل على غرس مكارم الأخلاق في النفوس، والمبادئ الوطنية في العقول، كما أنها قامت بإسقاط حركة الإدماجين الهادفة إلى ربط المجتمع الجزائري بلغة المستعمر وعروقه، وذلك بنشر الفتاوى في جرائدها كجريدة المنتقد، تصف فيها المتجنسين بالكفر والارتداد عن الإسلام، وقد تمكنت أيضا من إخراج المجتمع الجزائري من عزلته العلمية التي لم يكن معروفا بها من قبل، كما تعرف الولايات الفرنسية في الوطن الأم، فالجمعية كانت من دعاة الوحدة بين الأحزاب الوطنية وأن جل الغايات والمبادئ لم تثمر إلا في حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944م، وإن كانوا قد نجحوا إلى حد كبير، إلى جانب التراث النضالي الذي أفرزته حركة حزب الشعب الجزائري، وهذه المسائل كلها أوجدت الجو المناسب والأرضية الملائمة لاشتعال فتيل الثورة بقيادة جبهة التحرير الوطنية التي انصهرت تحتها كل الحركات والتيارات السياسية والدينية وأدمجتها في كيانه حتى باتت حزبا واحدا يعتبر أعلى سلطة في البلاد، وهو حزب جبهة التحرير الوطني باعتبارها المنظمة الوطنية للشعب الجزائري في حرب الاستقلال، وهي مرشد الشعب ومجرا الثورة هدفها الرئيسي محو النظام الاستعماري وبعث الدولة الجزائرية ذات السيادة، وبناء جمهورية ديمقراطية شعبية واجتماعية¹، فتحل المناسبة الميمونة، وحزب جبهة التحرير الوطني خادما أميناً للشعب، وللدولة الجزائرية ومؤسساتها، والتي توجد على أعلى مؤسسة فيها مناضل ومجاهد من حيث التحرير الوطني من الرعيل الأول كان له شرف الالتحاق

¹ - ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، مرجع سابق، ص 478، 479.

مبكرا بالثورة، ومن صانعي عزة الجزائر ومكانتها المشرفة بعد الاستقلال إلى غاية المؤتمر الرابع بدون هوة أو كلل.

فقد خلقت جبهة التحرير الوطني مناخا ملائما لوجهات النظر بين الاتجاهات الوطنية، والتيارات السياسية المختلفة، لاسيما جمعية العلماء وعلاقتها بهذه الأحزاب السياسية الأخيرة التي كانت "من أولى مقاصدها وغايتها طائفة العلماء والطلبة باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلق بالأخلاق الإسلامية، عاملين بالحق هداة به دعاة إليه، فهم من الأمة بمنزلة القلب من الجسد تصلح إذا صلحوا وتفسد إذا فسدوا"¹، فالجمعية تدرس أحوال المجتمع الجزائري من جميع نواحيه الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية.

وغداة عام 1950م عرفت السياسة تشنجا واستقالة لدور الحركة الوطنية بطابعها السياسي فغاب النضال ضد العدو فارتفعت حدة الاتهامات المتبادلة بين الأحزاب الوطنية" وبصفة خاصة الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية مناضليها يتهمون أنصار الإتحاد الديمقراطي للبيان أتباع فرحات عباس، بالتخلي عن مبادئ البيان، في حين كان عباس يرد عليهم متهما إياهم بالوطنيين المزيفين، وبذلك لم يتحقق أي تقارب بين الحركتين رغم عدة محاولات في هذا الشأن، وقد تعمقت الأوضاع السياسية أكثر من ذي قبل بعد اكتشاف المنظمة السرية الخاصة من قبل الشرطة الفرنسية فاعتقلت المئات من الإطارات والمناضلين أعضاء هذا التنظيم، حيث عذبوا وحكموا واضطر غيرهم للهجرة، وظل الباقيون منتشرين عرضة للاعتقال في أية لحظة"²، في حين لجأ آخرون إلى الجبال في انتظار ساعة إعلان الثورة مثل كريم بلقاسم وآخرون... وجل هذه الأوضاع كانت سببا كافيا لعرقلة مسار الجمعية والأحزاب السياسية، وفي ظل هذه المسائل كلها أوجدت الأرضية الملائمة لاشتعال لهيب الثورة بقيادة جبهة التحرير الوطني التي زادت من وتيرة التباعد بين المسلمين الجزائريين والمستعمرين بفضل دعايتها الواسعة المؤثرة على

¹ - شيخ عبد الرحمان شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، ، 2009، ص50.

² - فاضلي إدريس: حزب جبهة التحرير الوطنيFLN عنوان ثورة ودليل حرب، مرجع سابق، ص 52.

الجماهير، والتي كانت نقطة تحول واضحة في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، واتجاهها نحو الكفاح المسلح.

وعليه فإن المقاومة السياسية التي خاضتها الأحزاب، وجمعيات تمثلت على وجه الخصوص في حركة الأمير خالد، ونجم شمال إفريقيا، وحزب الشعب، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وجمعية العلماء، واتحاد النواب، وحزب أحباب البيان والحرية سواء اقتصرت مطالبهم السياسية على تحقيق المساواة بين الجزائريين الذين يمثلون الأغلبية وبين الأوروبية المستعمرة، أو كانت هذه المطالبة عبارة عن إصلاح اجتماعي، أو مطلب محدد ينادي باستقلال الجزائر، تلك هي الحركات التي ناضلت قرابة النصف الأول من القرن العشرين، فكانت في مد وجزر مع الإدارة الاستعمارية، متجاوبة ومتكيفة مع الأحداث الدولية.

2 - موقف الاستعمار من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد اختلفت نظرة فرنسا للجمعية عن أول - خاصة - بعدما تركت زيارة وفد الجمعية سنة 1937م للعديد من المناطق الثورية تساؤلات محيرة في أوساط الإدارة الفرنسية في الجزائر، فقد ألقى العقبي خطابا على الجمهور بميله (قسنطينة) حيث راح يسأل الشعب قائلا: "ماذا تقولون لو أننا أمرناكم حالا بالثورة ضد فرنسا؟ فرد الجمهور قائلا، نحن تحت تصرفكم، ولكن العقبي قال: إن الوقت لم يحن بعد...¹، لقد كانت نظرة الإدارة الفرنسية في الأول تجاه الجمعية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) حيث منحت الاعتماد لتأسيسها، هي أن هؤلاء العلماء لا يختلفون في شيء عن رجال الدين المحافظين، كانوا يعملون لدى الإدارة الفرنسية وينتسبون إلى طبقة الإقطاعيين كانوا ينادون بسياسة التعايش مع فرنسا ولو على حساب مستقبل الأمة الجزائرية، ونتيجة هذه التساؤلات لجأت الإدارة الاستعمارية بعدها

¹ - أمنة بواشري بنت ميرة: أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية الجزائر نموذجا (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962م)، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ط.، 2008، ص 28.

إلى تغيير طريقتها في التعامل مع الجمعية،" فعملت على إفشال مخططاتها بإتباع مختلف الوسائل، حيث راحت تحرض أعوانها من ذوي الوظيف على تأسيس جمعية العلماء السنة بزعامة المولود الحافظي وهو من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي انفصل عنها مما أدى ذلك إلى اضطراب الجمعية والتشكيك في مصداقيتها، حيث اتهم أعضاء جمعية السنة رجال الإصلاح بجمعية العلماء المسلمين بالتقصير وإهمالهم للسنة النبوية الشريفة والدين¹، فلقد عرفت فترة نهاية الثلاثينات فوضى سياسية أدت إلى عدم الإقناع بعمل الجمعية من طرف بعض رجال السياسة، ولكن مؤسسها ابن باديس أوضح الأهداف البعيدة التي ترمي إليها الجمعية ليعيد عنها كل الاتهامات، في تضاعف الجهود الجليلة والقيمة من قبل هذه الأخيرة، في تنوير وتنقيف الشعب الجزائري وتوعيته للنهوض من عزلته ومن الوهم القاتل الذي يفتك بحياتهم، ودمائهم، وأموالهم المنتهبة من قبل المحتل، إذ توحد النشاط السياسي بإنشاء لجنة تنسيق بين الأحزاب الوطنية الشقيقة وجبهة التحرير الوطني للنهوض بالشعب الجزائري، وتحقيق الاستقلال والحرية بكل عزم واجتهاد في تضافر مجهوداتهم الجبارة، قامت الدبلوماسية الفرنسية بنشاط كبير في الميدان الدولي للحصول ولو لمدة قصيرة على مساعدة أدبية ومادية، وكان أقصى ما أحرزته بعض التصريحات القلقة التي أفضى بها الممثلون للولايات المتحدة وبريطانيا والحلف الأطلسي على سبيل المجاملة، وهذا ما خلق ردة فعل عنيفة من قبل سلطات الاستعمار.

غير أن الصحافة العالمية والأمريكية بصفة خاصة لم تفتأ تتدد بالأعمال الإجرامية التي يقوم بها جنود الليف الأجنبي من تنكيل بالشيوخ والأطفال، وتقتيل المتقنين والمدنيين، وتعذيب المساجين والسياسيين الوطنيين، وإعدام الرهائن، فقد قامت فرنسا بفرض سياستها على الشعب الجزائري الأبوي، واعتبارهم غرباء في وطنهم محرومين من الحرية والتقدير، ونتيجة لذلك" قام الاستعمار بخنق أنفاس اللغة العربية التي كانت اللّغة القومية لغة الأغلبية الساحقة

¹ - أمنة بواشري بنت بن ميرة: أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية الجزائرية الجزائر نموذجا، جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962م، مرجع سابق، ص 28.

من السكان، ومحا تعاليمها محوا كلياً منذ بدء الاحتلال بتشتيت شمل الأساتذة والطلاب وباغتصاب الأوقاف¹، فاللغة القومية كانت جوهر الجزائريين ولغة لسانهم في التمسك بتعاليمها، وإحيائها وبعث التراث العربي الإسلامي لها لتكوين طلاب وشباب مثقف من قبل الأساتذة في استجماع قواهم الفكرية والعقلية التي لا بد منها، ضف إلى ذلك فإن: "الديانة الإسلامية قد انتهكت حرمتها ومسح وجهها السطح بتسخير القائمين عليها واستجارهم من طرف الإدارة الاستعمارية، وقد حارب الاستعمار الفرنسي الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء وأيد الطوائف الطرقية المسخرة برشوة بعض شيوخ الزوايا"²، فالوحوش الضارية قد شنت حرباً شعواء متواصلة مع شيوخ الزوايا والطرق، فمسحوا الدين وطمسوا مبادئه، وأفسدوا عقول الشعب مستعينين في ذلك بالاستعمار في تخدير عقول البسطاء ومقاومة من يحاول أن يكشف مساوئهم.

وقد ركزت جمعية العلماء جهودها في نشر الثقافة العربية ومحاربة التجنيس أيما بأن بث الوعي هو السبيل الوحيد لحماية الشعب من الانحراف... حيث أصدرت جريدة الشهاب ثم البصائر لشرح مبادئها وأهدافها، إلا أنها اصطدمت منذ البداية بالإدارة الفرنسية، وكانت السلطات الاستعمارية قد أنشأت منذ عام 1930م "لجاناً استشارية وإسلامية في كل عمالة، وعندما شعرت بخطر جمعية العلماء أصدر دي ميشيل السكرتير العام لإدارة الأمن والشؤون الأهلية عام 1933م قراراً يقضي بمراقبة نشاطها ونشاط أعضائها، واحتكار الوعظ والإرشاد الديني في نطاق الموظفين الرسميين الذين تعينهم الإدارة الاستعمارية، كما يقضي القرار كذلك بتعيين شخص فرنسي رئيساً للمجلس الاستشاري الإسلامي"³، فهذه القرارات الصادرة من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية تعتبر إهانة لطمس المقومات الشخصية الوطنية، وهذا ما جعل الجمعية تنشئ حملة دعائية واسعة لشرح أخطار ذلك، وتقاوم في المجال

¹ - صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال (المراحل الكبرى)، مرجع سابق، ص 495.

² - المرجع نفسه، ص 445.

³ - يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954م، مرجع سابق، ص 119.

السياسي، إذ تعرضت إثر ذلك لأخطار واضطهاد وإيقاف واعتقال عدد من أعضائها وأنصارها، وقد تزايدت ردود المستعمر الفظيعة ضد الجمعية، وخاصة في عام 1936م، حينما تسلمت الجبهة الشعبية الحكم في فرنسا، وفي هذه الظروف الحالكة اغتتم السيد ميو مدير الشؤون الأهلية فرصة تنقلات مصالي الحاج في أنحاء الجزائر للدعاية ضد مشروع فيوليت، فنظم عدة تحرشات واستفزازات واسعة ضد أنصار مختلف الأحزاب والهيئات، ودبر مقتل مفتي العاصمة ابن دالي كحول، بينما كان يخطب في الملعب البلدي عام 1937م، ضد مشروع أنصار المؤتمر الإسلامي، واتهم رجال جمعية العلماء بقتله الإدارة الاستعمارية باعتقال عدد منهم، ومن غيرهم من بينهم الشيخ الطيب العقبي وعباس التركي¹، ولم تكتف السلطات الاستعمارية بذلك بل قامت بقتل المثقفين الجزائريين ونفي العلماء الذين وقفوا لها بالمرصاد الشيء الذي أدى بدوره إلى استفادة أبناء المعمرين من تلقي العلم والمعرفة على حساب أبناء الجزائريين، إذ جاء في حوار حول الثورة على لسان الدكتور الجندي خليفة ما يلي: "... أما عدد الفرنسيين لم يبلغ عددهم الإجمالي مليون نسمة، فقد بلغ عدد الطلبة من الفرنسيين في المرحلة الجامعية أكثر من ستة آلاف طالب، وأظن أن هذه الأرقام توضح لنا أكثر الوضعية التي كان عليها الشعب الجزائري، ولكنه لم يكن يناضل من أجل تحسين ماديته فقط، بل كان يكافح أيضا من أجل شرفه وكرامته واستقلال بلاده"²، ففرنسا عملت كل ما رأته يخدم سياستها من أجل الاستيلاء على الجزائر ماديا ومعنويا، فشجعت عملية التصير بإنشائها كنائس، وشككوا الشعب في عقيدته الإسلامية، فقد أغلقت المدارس، وانتشرت من بعض شيوخ الزوايا ضمائرهم لأبخس الأثمان وحثتهم على نشر، الخرافات والبدع بين حتى يبتعدوا عن قضيتهم الحقيقية والمصيرية، "وما كادت الجمعية تلتقط أنفاسها حتى نفذ ضدها أمر خطير في شهر أوت 1936 حيث اغتيل المفتي محمود بن كحول وألصقت التهمة في الجمعية باغتياله، كانت هذه الوسيلة من الوسائل التي استعملتها الإدارة

¹ يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954م، مرجع سابق، ص 119.

² عبد القادر نور: حوار حول الثورة، ج2، موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص 110.

الفرنسية لعرقلة الجمعية وتشويه سمعتها، بالإضافة إلى مؤامرات ودعايات مضادة من الفرنسيين، ومضايقات من طرف الشرطة الفرنسية وعراقيل أخرى من محبي فرنسا من الجزائريين، كل هذا لم يسمح بتنظيم شؤون الجمعية وعرقل في كثير من نشاطاتها وحال دون تحقيق مشاريعها...¹.

وتواصلت الضغوطات الفرنسية على الجمعية لإفشال مخططاتها التي توقفت من نشاطها الرسمي وهياكلها المتصلة بمحركها، والذي يرجع أساسا إلى اعتقال رجالها وإلى انضمام باقيهم إلى قيادات الثورة بالداخل وهيئاتها بالخارج، والظاهر أن حركة العلماء قد لاقت في فرنسا أيضا العديد من المضايقات والانتهاكات من بعض الطرفين: "بالدجالين الذين يتلاعبون باسم الدين، وقيمون للبدع والخرافات سوقا لها... والذين لم ترق لهم النهضة الثقافية والأدبية التي نشرها بعثة العلماء في أوساط العمال الجزائريين، فحاولوا النيل من هذه الحركة ووقف تأثيرها، وكانت الوسيلة الوحيدة إلى ذلك مهاجمة مسيرتها والمشرفين على نشاطاتها، فكانوا يعمدون على التشكيك في مصداقية البعثة عن طريق اتهام أعضائها بالعجز وعدم الأهلية للقيام بمهمتها في فرنسا!!"²، وهكذا إذن كان على دعاة جمعية العلماء أن يتصدوا أثناء نشاطهم بفرنسا لهذا الخليط من الأهواء والمعتقدات والأفكار الميتة.

بذل الاستعمار بعد تفتنه إلى خطر الزوايا التي تحولت إلى مراكز انطلقت منها كتائب المجاهدين لمقاومة الغزاة، وسعيه لإفسادها واستمالة رؤسائها وتجنيدهم، حتى أصبح الكثير منهم يخدمون الاستعمار ويدعون المسلم الجزائري إلى الاستكانة والرضى بما هو عليه من جهل وفقير واستغلال المستعمر له وكل ذلك باسم الدين، وساهمت بعض الزوايا المنحرفة في تشويه صورة الدين الإسلامي ونشر مختلف مظاهر الشرك بالله في أوساط الشعب الأمي، ولقيت في ذلك كل الحماية والتشجيع من قبل الاستعمار، كما استفادت نوادي التهذيب

¹ - أمنة بواشري بنت ميرة: أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية الجزائر نموذجا، جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962م، مرجع سابق، ص 29.

² - سعيد بو زيان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956 : محمد الصالح الصديق، دار هومه، الجزائر، د. 2012 296.

بفرنسا بجو الحرية والديمقراطية الذي كان سائدا في هذا البلد في استقطابها نسبة كبيرة من المهاجرين الجزائريين الذين: "سرعان ما أفلق الدوائر الاستعمارية التي تترصد ما يقوم به أبناء المستعمرات - في عقر دارها- من نشاط يعاكس سياستها الاستعمارية، خاصة بعد أن تحدثت بعض الصحف الفرنسية عن نشاط النوادي في باريس تأثيرها المتزايد على المهاجرين الجزائريين، فبدأت السلطات الاستعمارية تضع العراقيل أمام نشاط العلماء للحد من تأثيراته"¹، ففرنسا لم تكف لتصديها لجمعية العلماء في الجزائر بل شملتها إلى فرنسا كذلك، من قبل الجزائريين المهاجرين هناك والمقيمين فيها، "ففي ديسمبر 1937م أصدر محافظ شرطة باريس قرارا ينص بمنع العلماء من أن يقيموا صلاة العيد، الذي اعتبروه مساسا بالحرية لجميع الأديان المعترف بها، وفي نفس السنة قامت الشرطة بتفتيش نادي كليش بباريس، وهو مكان له حرمة المساجد تقام فيه الصلوات وبمكانة المدارس التي يقوم فيها التعليم، كما دأبت الصحافة الاستعمارية في أواخر الثلاثينيات توجيهها اتهامات العلماء بتبنيهم أفكار الجامعة الإسلامية، والتعاطف مع قادة النازية والفاشية، وخاصة بعد زيارة الأمير شكيب أرسلان للنوادي في سنة 1937م الذي اتهمته فيما بعد الصحف الفرنسية بأنه على علاقة بألمانيا وإيطاليا الذي كان مناف للاستعمار ويتعاون مع الحركات الوطنية فيه، لذلك حرص العلماء على الرد على مثل هذه الاتهامات في كل سنة، كما جاء في حديث الورتلاني عن تطرقه للموسوليني الذي سعد - قبل بضع سنوات - للقضاء على الثقافة العربية في طرابلس، معلنا نفسه اليوم حاميا للإسلام، وبطبيعة الحال يرمي الورتلاني ضمنا إلى تبرئة ساحة العلماء من تهمة التجاوب مع الفاشية، والتي كان الهدف من ورائها إغلاق نوادي التهذيب، وإيقاف نشاط العلماء بفرنسا وخلال المرحلة الثانية، لم يسلم نشاط العلماء في فرنسا من مضايقات الاستعمار، خاصة في فترة الخمسينات، عما كانت تفرضه السلطات الاستعمارية من رقابة على مؤسسات جمعية العلماء وعلى أعضائها العاملين

¹ - سعيد بو زيان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 1956 مرجع سابق، ص 278.

هناك، وصاحبها أعمال قمع وبطش بالإضافة إلى المعاملة التعسفية التي عوملت بها شعب جمعية العلماء في المدن الفرنسية¹.

و هكذا يتضح بأن أعمال القمع والاعتقال والاضطهاد والتعذيب التي واجهت بها فرنسا الثورة الجزائرية لم تكن محصورة في أرض الجزائر فحسب، بل أنها قد مست الجزائريين حتى في أرض فرنسا وفي باريس نفسها (مدينة النور والمدنية والديمقراطية!!)، ذلك أن المواطن الجزائري يبقى في نظر الاستعمار حسب تعبيره هو هو، سواء كان في باريس أو في الجزائر عرضة للمضايقة والاتهام، تداس كرامته وتسلب حريته يهان ويزج به في السجن.

3 - دور الجالية الجزائرية دينيا، سياسيا، ثقافيا:

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر 1830م، بدأت الجالية الجزائرية تستقر في فرنسا، وخاصة بعد عمليات التجنيد الإجباري التي قام بها المحتل ليشركوا بهم في حروبهم، وخدمة أغراضهم، فقد توسعت هذه الحركة وذلك باهتمام جمعية العلماء بها في إبلاغ الدعوة الإصلاحية إلى جماهير العمال في فرنسا، وإقناعهم بوجود التفاهم حولها لم يكن بالأمر الهين كما يذكر الورتلاني، باعتباره الحجرة التي سدت طريقه هي حجرة اليأس التي يقول عنها "إنها صفة لا يكاد يخلو منها أحد"²، لكن الفضل بعزيمته وإخلاصه ورغبت الجامعة في الإصلاح والتغيير، استطاع تجاوز كل العقبات الملقاة على عاتقه، فقد كون في مدة قصيرة نهضة وطنية جديرة بالتقدير والإعجاب في عقر دار المستعمر، في لم شمل الجزائريين المتناثرين هناك وألف بين قلوبهم في تكوين نوادي يتلقون فيها دروسا في الدين واللغة والثقافة الإسلامية، "... أخذت بعد ذلك تتزايد شيئا فشيئا وببطء إلى أن اندلعت الحرب الروسية الفرنسية عام 1870م فهجرت فرنسا عشرات الآلاف من الجزائريين ليشركوا في

¹ - ينظر، سعيد بوزيان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 - 1956م، مرجع سابق، ص 278، 279، 280، 281، 282، 283.

² - سعيد بوزيان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 - 1956م، مرجع سابق، ص 80.

حرب الجبهة ويخدموا أغراضها، في الورش، والمزارع، وقتل منهم عشرون ألفا في جبهات القتال خلال معارك ريشوز وميتز، وفيردان، وغيرها¹.

فبدأ يتضاعف عددهم، وهذا ما ضايق المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، فضغطوا على الحكومة قيود لسفر الجزائري لفرنسا، وأصبحت لهم أعمال حرة، فاشتغلوا في الموانئ والمناجم ومصانع التعدين... وغيرها وارتاح لهم رؤساء العمل ولانضباطهم، وضيقوا على الحكومة لتشجيع هجرة الجزائريين، وإلغاء المرسوم القاضي بوضع قيود لهجرتهم نحو فرنسا.

" حيث توسعت هجرة الجالية الجزائرية إلى فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م) وكثرت أعمالها وأعدادها بين تجنيد أكثر من 177 ألف رجل كجنود و75 ألف رجل لعمال في التجهيز العسكري، فضحت الجزائر بالعديد من شبابها من أجل أغراض وحروب، فكانت خسائر قاسية على الجزائر وأهاليها، لكن بعد الحرب العالمية الثانية عادوا للجزائر، ولم يبقى منهم سوى الأقلية وحدت السلطات من هجرة الجزائريين، فأصدرت وزارة الداخلية تعليمات للحد من الهجرة بتاريخ 08 و12 سبتمبر 1924م وفرضت على المهاجر الجزائري أن يحصل على الأوراق التالية: تذكرة إثبات شخصية ضف إلى ذلك شهادة طبية للخلو من الأمراض المعدية والمستوطنة بالإضافة إلى شهادة تشغيل من صاحب العمل، ورغم عدم ارتياح الأحزاب السياسية آنذاك لهذه العراقيل التي وضعتها فرنسا للحد من هجرة الجزائريين كهيئة نجم شمال إفريقيا، واحتكوا واشتكوا وطابعوا الإدارة الفرنسية بإلغائها، إلا أنها واصلت بإصدار قرارات مفيدة أكثر كمرسوم يوم 4 جويلية 1936م القاضي بإلغاء كل القيود والإجراءات التعسفية، وذلك بفضل مجهودات نجم شمال إفريقيا، رغم عدم ارتياح المستوطنين لهذا المرسوم وظلت تضغط على الحكومة حتى قامت بإصدار لوائح بتاريخ 14 أكتوبر، و09 ديسمبر 1936م، و29,13 جانفي 1937م لتضييق حركة الهجرة، وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية، ألغيت كل المرسومات القاضية بالحد من هجرة الجزائريين إلى

¹- يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص 289.

فرنسا، وأصبحت من صلاحيات وزارة الحرب الفرنسية، فأصدرت قانون 7 مارس 1944م القاضي بإعطاء الجنسية الفرنسية لعدد كبير من الجزائريين، وقانون آخر نظم العلاقات من الجزائر وفرنسا، فتوسعت الحركة لغاية اندلاع ثورة نوفمبر 1954م، وارتفع عدد المهاجرين حتى وصل إلى نصف مليون شخص، فكانت هجرة النساء قليلة ومحدودة مقارنة بالرجال والشبان من أعمار 20,40 سنة وذلك لأن العائلات الجزائرية محافظة، وكذلك لصعوبة العراقل التي تواجه المهاجر ويتعرض لها في ديار الغربة وذلك لأسباب عدة منها سوء الأوضاع الاقتصادية، بسبب سياسة التجويع التي فرضتها فرنسا، فصادرت كل أراضي الجزائريين الخصبة والجيدة¹، وسيطرت على النشاطات التجارية والصناعية، فشردت الشعب الجزائري وطردته من قراه إلى قمم الجبال الجرداء، "فاعتقدوا أن الحل الأنسب هو الهجرة إلى فرنسا لحل مشاكلهم وتحسين ظروفهم، أما من الناحية السياسية اعتبروا هذه الهجرة بمثابة مخرج يخلصهم من الإرهاب والزجر نشاطهم عليه الحكومة الفرنسية، ويتيح لهم الانتساب إلى النقابات والأحزاب السياسية التي تحميهم وتدافع عنهم وتساعدهم على إبلاغ أصواتهم إلى الجهات المعنية، وتسلط الامتصاص على الجزائريين التي قصدت بها فرنسا تهجير أعداد كبيرة منهم ليشاركوا في تطوير الاقتصاد الفرنسي وإعمار الأقاليم الفرنسية المخربة والفقيرة والمحتاج إلى أيدي عاملة، خاصة في الجنوب الغربي والهضبة الوسطى، ضف إلى ذلك الرغبة في تحسين الأوضاع المعيشية والصحية والثقافية، والنقابية المهنية لرفع مستوى المدخول المادي، وهيكلها أمور متاحة في فرنسا معدومة في الجزائر، فقد تمثل دور الجالية الجزائرية السياسي والديني والثقافي في فرنسا إيجابيا، بل تعداه إلى مجالات عدة وجبهات مختلفة لصالح الشعب الجزائري وحتى لصالح المجتمع الفرنسي نفسه، فالميدان النقابي انخرطوا في الهيئات والمنظمات النقابية الفرنسية للدفاع عن الحقوق وحرية النقابة، أما السياسي فانخرطوا فانخرطوا في الأحزاب الفرنسية اليسارية منها، فكونوا هيئات وأحزاب

¹ - ينظر: يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص

سياسية مستقلة كانت كبداية لظهور الحركة الوطنية الجزائرية بفرنسا والجزائر، أما الميدان الديني فقد كافح الجزائريين في المهجر من أجل الحفاظ على أخلاقهم الإسلامية، وعملوا على تجنب مظاهر الانحلال في بلد عاداته وتقاليده شرب الخمر وممارسة الفسق والدعارة والعمل الخبيث بكل حرية، فأرغموا الإدارة الفرنسية على استحضار الأئمة لإقامة الصلوات، حتى اضطرت الولاية العامة على تأسيس مسجد بباريس بضغط من الجالية الجزائرية المتمسكة بدينها، فأصبح هذا المسجد قبلة لكل المسلمين بفرنسا، إلى جانب مسجد أسسوا الزوايا ومساجد أخرى صغيرة لا سلطة لفرنسا عليهم، فهم كانوا يقومون بكل تعاليمهم الإسلامية حتى الصوم، فكانت من أهم مميزاتهم بالمهجر عام 1954م هجرة مؤقتة بين 08 و18 شهر أو بعدة سنوات، كما أن عناصرها رجال وشباب وليسوا نساء، إذ صاحبها ظاهرة الزواج المختلط بالفرنسيات الذين فضلوا الإقامة الدائمة¹.

وغداة ثورة أول نوفمبر 1954م كان عدد الجالية الجزائرية كبيرا نظرا لما سبقنا ذكره من الظروف القاسية التي كان يعانيها الشعب الجزائري، من قبل السلطات الفرنسية فقد كان لها دورا هاما في دعم الثورة بالمال والرجال والأسلحة والسياسة والدبلوماسية والدعاية، وكسب الأنصار... فقد تجندت هذه الجالية في خدمة جبهة التحرير وكانت تقدم لها ملايين الفرنكات شهريا لصندوق الثورة من أجل الإنفاق على التسليح والتموين، فحاربت الظلم الاستعماري والقمع المسلط على الجزائريين في كل أنحاء فرنسا على مدى سنوات الثورة، وأعطت هذه الفئة القليلة درسا لا ينسى لفرنسا ورؤسائها، وأفشلت أعمالهم في تجميد نشاط جبهة التحرير الوطني، وشاركت كذلك في فضح السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر عن طريق الإعلام، والنشريات، والجرائد، والمجلات، وكسب أنصار كثيرين من الفرنسيين

¹ - ينظر، يحي بوعزيز: السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص

الأحرار تجندوا لدعم الثورة سياسيا، وإعلاميا وماديا، والدفاع عن المساجين السياسيين، والمعذبين في السجون والمعتقلات"¹.

¹ - ينظر: يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص

الفصل الثاني

كيفية تناول جمعية العلماء المسلمين للثورة [نماذج مختارة]

المبحث الأول: الثورة وتعدد رؤاها

المبحث الثاني: نماذج مختارة لبعض شعراء جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين

المبحث الأول: الثورة وتعدد رؤاها

1 - رؤية عبد الحميد بن باديس ومحمد السعيد الزاهري:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث الشريف يجسد لنا معنى الأخوة في الإسلام التي يجب على كل مسلم أن يتحلى ويتخلق بها، في مد يد العون والمحبة، بكل روح وقلبية صافية، للنهوض بالبلاد والعباد، في بناء أمة شامخة يسودها الخير والتفاؤل بغد مشرق، ولكن لن يكون ذلك إلا بالصلح والتعليم النبوي للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للنشء في شكله وموضعه، في مادته وصورته، فيما كان يعلم - صلى الله عليه وسلم - الذي بعث معلما متمما لمكارم الأخلاق، لهداية البشرية وبين لهم دين الله، وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى ينهل عنه الناس دينهم ويقتدرون به فيه، وهذا المسلك سلكته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة الإمام المصلح عبد الحميد بن باديس، أين دشنت ثورته التعليمية الإصلاحية، التي كانت بعيدة المدى، بالغة الأهمية في الكشف عن جوهر الإسلام كونه يعد الفاعل الأساسي في الحفاظ على الشخصية الجزائرية، والصخرة التي كانت تتكسر عليها حملات الصليبيين وهجماتهم، ونشر اللغة العربية التي هي وعاء القرآن والإسلام، وإعداد الفكر خير إعداد، لخير حياة ردا على رسل الحضارة والتمدن (الفرنسيون) الذين احتلوا جزائر العلم والعلماء بغية القضاء على اللغة العربية الإسلامية باستيلائهم على تلك المعاهد والمدارس وتدمير المساجد وتحويلها إلى كنائس، وخلق الفوضى في مختلف الأوساط العلمية، وكان من أبرز ما في ثقافته هذه عوامل التشكيك في مقومات الشعب الجزائري من دين وعقيدة ولغة، وطمس الخصائص الحضارية الإسلامية قصد تحويل المسلمين عن قبلتهم خاصة في المغرب العربي إلى فرنسا كما جاء في مذكرة أرسلها (الكاردينال لانجيري) إلى الإدارة الفرنسية: " علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من (قرانه) - هكذا - وعلينا أن

نعني على الأقل بالأطفال ننشئهم على مبادئ غير المبادئ التي شب عليها أجدادنا فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر!!¹.

عمدت إرساليات التبشير بتوجيه الزعماء الصليبيين على وضع التوراة وبعض الكتب الأخرى في أيديهم، وهي تحمل اتهامات وشكوك للدين الإسلامي والحرب والتاريخ، التي تؤدي بدورها إلى إذابة الشخصية الجزائرية في الشخصية الفرنسية، وطمس معالم التاريخ الإسلامي... إلخ، بما فيها من جاذبية لمن سخرتهم الحضارة الغربية من الجزائريين، ومع ذلك... ومع كل المحاولات التحويلية والتخريبية، والتمسيخية فقد ثبت الشعب الجزائري على الحفاظ على مقوماته، ومن أجل ذلك أدركوا جميعاً أن عليهم أن يعتصموا بحبل الله (الإسلام) حتى يقدرُوا على التحرر، وما يؤكد صحة هذا القول ما قاله الإمام عبد الحميد بن باديس: " الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبح شأن كل أمم الدنيا!!، ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة"²، فالكلمة التي ألقاها رائد الإصلاح ابن باديس أثرت في نفوس أبناء الوطن الواحد وروح الشعب الثائرة أمام عزمته الجبارة، وبطولته النادرة، والرغبة الملحة في النصر والشهادة، وتصميمه على نيل حريته في خوض الحرب ضد فرنسا، ومقاومة ضربات المستعمر بلا هوادة بغية تحقيق الوحدة الوطنية، دون العودة إلى الوراء مهما كلفهم ذلك من حياة أو موت وذلك بوضع أرجلهم في الطريق القويم، الطريق إلى الحرية والاستقلال هو الجهاد هو الموت، العرق والدموع، وأن

¹. محمد الصالح صديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص 52.

². المرجع نفسه، ص 54.

النجاح فيه للشعب الأبى الذي لا ينتظر بزوغ الفجر، وإنما يشق الطريق إلى الله بين الصخور وفي الأوحال وعلى الأشواك بجباه مرفوعة، وقامات منصوبة، وخطى ثابتة، وضمانر مطمئنة، متوكلون على أنفسهم بعد الله، الذين بنصرهم هم من نصره واثقون مؤمنين بقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾¹، ويقول أيضا: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾²، فالآية الأولى تثبت مدى صرامة نهج المؤمنون في جدوى الاستقامة، وفي الآية الثانية يبين لنا الله تعالى أنه مهما أظلمت حياتنا وسودت طريقنا الحالكة لا بد أن تتجلى يوما ما في الحصول على غد مشرق ومستقبل أفضل، الذي لا يكون إلا بالتوكل عليه وتفويض أمورنا إليه.

يتقن أمجاد الجزائر بأن بناء المستقبل، يتم على أساس من الوعي الكامل لدينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم، ذلك أن دينهم دين الحق وبين العلم والعمل، دين الوحدة والتكامل والحرية، كما أن الإنسانية والإسلام حكمة لا أهواء جامحة لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾³، وأن انتظار النصر والتبجح به لاعتبارات واهية لا أساس له من الصحة، فذلك هو الهزيمة بعينها، وأن التعويل عليه إنما يكون على الإيمان والإصلاح، وأن الكفار والملحدين مهما بلغت ضروة درجة ذكائهم المشؤومة، لا بد أن يحرّموا رضوان الله وبركاته، ويذوقوا الفشل والخراب لا محالة، كما لا جاء في قوله تعالى في بداية سورتي محمد والقتال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا

¹ . سورة يوسف، الآية: 90.

² . سورة يوسف، الآية: 87.

³ . سورة الأنبياء، الآية: 105.

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَاهُمْ ﴿١﴾، فنتيجة لعواقب الحكم والاستبداد السياسي والثقافي، والطغيان الاقتصادي والاجتماعي والاعتزاز بالزوائل والنشاطات.

ويتجلى ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾²، فاستيقظ الشعب الجزائري من نومه بعدما ثارت نفسه الحامية على غيرته على وطنه ودينه وتاريخه، " حيث أدار ظهره نهائيا لفرنسا وداس بأقدامه على كل الرواسي المتخلفة من بقايا الأطماع والوعود الكاذبة في توفير لهم أحسن معيشة وحياة، وحل كل المشاكل المستعصية التي تواجهه، إذ لم يبقى أمامه سوى مواكبة هذه الأخطار والصعاب، والمضي قدما بعدما فشلت مهمتها، وظهر خذلانها، والفضل في ذلك يعود إلى رواد الإصلاح والنهضة العلمية بالجزائر، الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي ومحمد الزاهري، غيرهم الذي تقرر بينهم وجوب العمل السريع في رد الاعتبار الذي يعكس الوجه الحقيقي للجزائر ومقاومة تيار التفرنس الخلقى والسياسي مع جماعة من فضلاء الجزائر في تأسيس نادي الترقى، الذي كان له الأثر الفعال في تطوير الحياة العربية الإسلامية بالجزائر، وفيه تأسست معظم الحركات العلمية، والدينية والسياسية والاجتماعية أبرزها وأجداها على العروبة والإسلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت انقلابا جذريا في حياة الجزائر وتقريراً لمصيرها، ومنبه للشعب الجزائري، موقنين بأنه لم يمت ولم يحد عن أصله لذلك كان دعائها ينشرون فيها اليقظة ويدفعونه في الطريق الوعر بدافع العقيدة التي تبعث في قلوبهم وعقولهم قوة الروح، وهي القوة الدافعة إلى النضال والجهد، باعتبارها منبع العزة والشرف، والباعثة على التضحية والاستشهاد، كونها مصدر الغيرة على النفس والنفيس، ضف إلى ذلك باعث اللغة التي تعتبر لسانها المعبر، وهي مظهر وجوده، ووعاء دينه وهذان المصدران هما منبع ارتقاء القوة الصارمة التي تهيئه هذه الأهداف في نفوس المجاهدين، حيث يستمد المعونة والطمأنينة وبذلك يواجه الهول الرهيب،

¹. سورة محمد والقتال، الآية: 01.

². سورة القصص، الآية: 83.

فإذا به يقرر مصير المعركة، كما خطط وأراد على علم هذا الشعب أن وراء هذه الحياة المحدودة حياة أخرى أبقى، فإن انتصر في المعركة، فذلك المبتغى، وإن نال الشهادة فقد فاز بالحسنى في سبيل الدفاع عن حرمانه ومقدساته، وبالتالي يكون حظهم من الغلب¹ كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلمائها مع الثورة من بدايتها وعلى طليعتهم ابن باديس الذي دعا لها قبل اندلاعها بأكثر من خمسة عشر سنة، رفقة دعاة الإصلاح والتعبير وذلك في حفل ديني أقيم ببجاية بمناسبة المولد النبوي الشريف عام 1937م حيث يقول²:

يا نشء أنت رجائنا	وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها	وخض الخطوب ولا تهب
وأذق نفوس الضالمة	ن السم يمزج بالرهيد
واقلع جذور الخائبة	ن فمنهم كل العطب
واهزّز نفوس الجامدي	ن فرما حي الخشب

فابن باديس كان يتلهم إلى الحرية نتيجة الألم الشديد الذي انتابه من الوحوش الضارية (الاستعمار الفرنسي) والأعمال الشنيعة التي تلحق بشعبه الأبى من قبل الجلادين الطغاة الذين مارسوا فيه كل أنواع التتكيل، وأذاقوه كل ألوان الإهانة و الاحتقار، لذلك نادى النشء بالنهوض بوطنه، ويتصدى للاحتلال وسلطته، لأن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، فقد تعددت مواقفه واتجاهاته من ثورة التحرير الجزائرية، وذلك "بوضع حد نهائي للتتكيل بالجزائريين واضطهادهم من قبل السلطات الاستعماري الفرنسية في الجزائر، والاعتراف بالقومية الجزائرية، وبحق الشعب الجزائري في الحرية وتقرير مصيره بيده، والشروع الفوري في المفاوضات - لإيجاد المناسبة للقضية الجزائرية - مع الممثلين الحقيقيين

¹ . محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص

2057,265,221,220.

² . المرجع نفسه، ص122.

للشعب الجزائري"¹، فقد قام أعضاء جمعية العلماء بالتعاون مع الطلاب وأبناء الشعب بوضع جدار حديدي بينهم وبين الاستعمار الفرنسي، وتصفية حسابهم معه بالحديد والنار، مبتعدين عن تكاليف الحياة التي ألفوها وتعودوا عليها في حياتهم اليومية من وسائل التحضر العصرية، والانتقال إلى مرحلة المعاناة والثبات ذلك أن الجهاد في سبيل الوطن يتطلب منهم التضحية من كل وطني جزائري اقتنع به كطريق واحد لتخليص البلاد من براثن الاستعمار، والانضباط في تصرفاتهم و سلوكياتهم بغض النظر عن الأخطار التي تهددهم في كل زمان ومكان، مجاهدين بالنفس والنفيس في طلب رضوان الله حتى تقوى قلوبهم وتكتمل روحهم، ويقدر على ما لا يقدر غيرهم عليهم، وهذه الدوافع التي من نشأتها ترجيح موازين المجاهدين في مواجهة الأعداء والتوجه للخدمة الوطنية لقول الشاعر هيا للخدمة الوطنية²:

هَيَّا هَيَّا
لِلخدمة الوطنية
وَلتَحيا الثورة يا جزائر

* * *

بثبات وصمود
في دروب الخلود
يا شباب يا جنود
يا حماة الحرية
هيا هيا
بزنود تبنى لا تتعب
بنفوس تطمح لا ترهب
وبصف كالسد المرعب
نبني صرح الوطنية"

¹ . عمار هلال: نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954م، دار هومه، الجزائر، ط5، 2012، ص29.

² . محمد بلقاسم خمار: ديوان محمد بلقاسم خمار، مج1، ج1، أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010، ص 302.

فبعد أن أيقن الشعب الجزائري أنه مخدوع، ودلت دلالة الشمس على النهار عندما خرج في مدن متعددة للمشاركة في الاحتفال، مع تذكير الواعدين بعودهم، فلم يكن يعلم أن وراء جدران الثكنات العسكرية قوى من غلاة الجبابرة تستعد لإقامة مجزرة بشرية مهولة من أولئك الذين نصرهم على أعدائهم بالأمس، المتمثلة في مجزرة 08 ماي 1945م التي تظل عبر التاريخ تلعن فرنسا، ورأى أن الوسائل السلمية لا تحقق الغاية المنشودة مع كافر أهوج " وأن اللغة التي يجب أن يستعملها معه إنما هي لغة النار ولغة القوة والموت"¹، ومنذ ذلك اليوم، بات الشعب الجزائري يخطط بحكمة فقيهة، وعزم صادق، وفي سرية تامة لليوم المجيد أول نوفمبر الخالد، وأخذ العدة له، مستعينين بربهم في المعركة متضرعين له في تحقيق النصر المبين، ومواجهة الأعداء الذين يعولون على عددهم وعدتهم فقط بقلوب فارغة تسيرها أوامر القادة وتحركها كما تتحرك الدمى، لا يعلمون لما يحاربون؟ ولا لأي غاية يصارعون أو يصرعون؟ عكس المجاهدين الأحرار الذين كانوا يفقهون مبادئ الحرب ومقاصدها، وإن كانوا أقل عددا منهم، فلا تزلزلهم كثرة العدو وقوته، فإذا بها تقرّر مصير المعركة، والحقيقة أنه لا عبرة في الحرب بكثرة العدد، وإنما العبرة في التأييد الإلهي والنصر السماوي، ذلك أن أرض العدو يورثها الله للمؤمنين في هذه الدنيا ويدل على هذا آيات متعددة من الكتاب الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَوْثَرَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾²، وقوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبِّهِمْ لِنَهْلِكِ الظَّالِمِينَ وَلِنَسْكَنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾³، ونظرا لذلك قام أعضاء الجمعية بتوحيد مجهوداتهم مع أبناء الوطن الواحد ملتزمين في سلوكهم تتبعهم لدروس الإمام ابن باديس في المحافل والمساجد، في أنحاء مختلفة من جزائر الجد والاجتهاد والنضال، هذه الجزائر التي لن يستطع حكمها وقيادتها إلا مخلص صادق في حبها وفي طاعة الله، فقد أقدموا على توجيه الشعب الجزائري وإرشاده في

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومه، الجزائر، 2012، ص 79.

² . سورة الأحزاب، الآية: 27.

³ . سورة إبراهيم، الآية: 14.

إتباع النهج الصحيح على سبيل المثال ما قام به الأستاذ محمد الهادي السنوسي الزاهري، هذا الشخصية الفذة الذي يعتبر علما من أعلام الجزائر ومصلح من مصلحيها الأشاوس من خلال مسيرته النضالية في توعية الشباب ويقظته، ونفطن الشعب للنهوض ونيل حريته مهما بلغه من تضحيات جسام يقول في قصيدة في هذا المقام¹:

لقد أغلّت بحبل الجهل أيدينا	بني الجزائر هذا الموت يكفيننا
كل اللذائذ حيننا يلتقي حيننا	بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا
في سوء مهلكة عمت نوادينا	بني الجزائر هذا اللهو أوقعنا
عن نيل مكرمة ترضي المحبيننا	بني الجزائر قومي مالكم غربا
أذاقنا اللهو والإهمال تهويننا	بني الجزائر قومي استيقظوا فلکم
دون البرايا، عيوب جمعت فينا	بني الجزائر ما هذا التقاطع من
يا ربّ رحماك هذا القدر يكفيننا	فقر!! وجهل!! وآلام!! ومسغبة!!
والبأس خاذلنا واليأس مردينا	فالجهد قاتلنا والفقر مهلكنا
إن التفرق - للعار - يؤذينا	مدوا أيديكم فها كفي لننّحد
فالجهد يقتلنا والعلم يحيينا"	هيا نؤم زلال العلم نشربه

من خلال أبيات هذه القصيدة ينبه الشاعر أبناء الجزائر إلى الاستيقاظ من نومهم والتصدي للعدو الذي زرع فيهم الفقر والألم والجهل وسلب كرامتهم وحريتهم وشتت شملهم، أن تتضافر وتتحد أيديهم، و في قصيدة أخرى يدعو فيها إلى الدين الحق وإلى العلم الصحيح وإلى الصحافة الحرة حيث قال²:

لقد ركبوا للعلم سهوة منطاد	بني وطني هل من نزوع لأجداد؟
تغار على الأوطان غير آساد؟	بني وطني هل من نفوس شريفة

¹. محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر مناف 142، ج1، منشورات الساتحي، الجزائر، ط2،

2007، ص80.

². المرجع نفسه، ص 91.

بني وطني هل من عقول كبيرة
بني وطني هل من شيوخ أجلة
يذّبون عن حوض الشريعة كلّما
بني وطني هل من حكيم مجرب
يشقّ عن الأرواح ثوب رذيلة
يطالب حقا ضاع مذ ضاع أهله
تقوم أمام الضيمّ وقفة أطواد؟
غدوا في سماء العزّ كعبة قصّاد؟
أناط بها الأعداء شبهة حسّاد!!؟
تعمق من بحر السياسة في وادي؟
ويلبسها بالعلم حلّة إرشاد
وينشر للأبناء تاريخ أجداد؟"

فهذه الأبيات يتجلى لنا من خلالها أن الشّاعر يدعو أبناء وطنه إلى التمسك بمفاهيمهم وقيمهم الدينية باعتبار أن القرآن هو مصدر القوة الإسلامية عندهم واستبعاده أمر صعب بل أمر لا أمل فيه ولا طمع كما أن الإسلام دين العزة والقوة والجهاد وماداموا على هذا الفهم فإنهم لن يستسلموا، ضف إلى ذلك أن اللغة العربية هي قوام الإسلام والرابط بين المسلمين في مختلف أنحاء المعمورة، لذا يجب عليهم أن يشقوا الدروب الوعة بكل عزم وثبات ويطالبوا باسترجاع حقوقهم التي سلبت منهم، وينزعوا ثوب الرذيلة مرتدين بالعلم المنير حلة إرشاد لهم ونشرها للأبناء عن تاريخ أجدادهم ويمجدوا هذا الصرح العظيم، كما هو ظاهر في

قصيدة أخرى الموسومة بعنوان **تحية الجزائريين بصحيفة الجزائر**¹:

"يا أيّها الوطنيّ ها
في أمة لولاك أم
إنّ السّعادة كلّها
قم قدّمها مطالبا
كفّي فخذ بيدي و ناد
ست في الوريّ خيرا معاد
بنت التضامن والوداد
فيها المتلخّص والمفاد"

يأمر الشّاعر الشعب بالنهوض وضمّ يده إلى يدهم بكل ودّ وإتقان ومفاده في ذلك تحقيق السّعادة.

¹. محمد الهادي سنونسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص 90.

2 - الشعب الجزائري يفجر ثورة التحرير:

بعد خروج الشعب الجزائري في مدن متعددة تضمه مظاهرات شعبية للمشاركة في الاحتفال، الذي كان في اليوم الثامن من ماي بانتصار الديمقراطية على النازية والفاشية، ومشاركة الجزائري العالم أفراده، كما شاطره أحزانه إلى جانب فرنسا، التي لوحته له بحفنة من الوعود في تقرير المصير فاستنفق عليها وأعانها على عدوها، دون أن يكون يعلم أن وراء جدران الثكنات العسكرية قوى من غلاة الكلاب المسعورة تتأهب لإقامة مجزرة بشرية مروعة، التي تنطق بوحشية فرنسية وبعدها عن النزعة الإنسانية، لما حصدته من أرواح المتظاهرين الذين نصرروها على أعدائها بالأمس، وتدمير المدن والقرى، وعندئذ أدرك الشعب الجزائري زيف الوعود الكاذبة، ومنذ ذلك اليوم، بدأ يخطط بحكمة متقنة للثورة المجيدة وأخذ العدة لها، وفي سرية تامة ليوم أول نوفمبر الخالد، ذلك أن الوسائل السلمية لا تحقق الهدف المنشود، وأن استعمال القوة والتضحية هما الأصح، سواء كان من ورائهم النصر أو الاستشهاد لدى البطل المقدم الذي لا أثر للتصنع فيه، بكل قوة نفسية وخلقية كونها ضرورية وخاصة في الحروب، "فالعصا في يد البطل سلاح خطير، والرشاشة في يد الجبان الرعديد لا معنى لها ولا جدوى"¹، والشعب الجزائري غني بهذه القوة من صلابة العود، وعلو الهمة، والثقة بالنفس، والاستعصاء على الموت الأخير الذي لقتت فرنسا درسا لن ينساه، الدرس الأخير في حياته الذي اهترت له قلوب الوطن من مختلف الطبقات، وانفتحت به أبصارهم، وعزمه الفصل الختامي لمأساة رهيبة ظلت فرنسا تمثلها عليه منذ قرنا وربع قرن: ذلك أن القاعدة الأساسية التي تركزت عليها السيادة فوق هذه الأرض هي القوة الأخيرة التي يقرها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 08.

يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ¹، ومعنى ذلك أن علة إنزال الحديد من السماء، هي لإعداد القوة التي بدونها لا سيادة فوق هذه الأرض ولا وجود، فهذه القوة نبعت في وجدانهم من يوم المجزرة الشنيعة الثامن ماي اليوم المبارك الذي اعتبر حجر الزاوية، في هيكل الثورة التحريرية وعندها أيقن الشعب الجزائري أن لا خير يرجى - على الإطلاق - من فرنسا المتتكرة لكل المواثيق والعهود المتجرّدة من الضمير الإنساني وقيمه الحضارية، الذي قمع هذا الشعب البريء في ظلام الحياة الدامس، الذي أقل ما يقال عنها أنها حياة ذل وهوان، ونكد، وعبودية، واستبداد، ومع كل معاناة الشعب الأبّي من ويلات الاستعمار، إلا أنه ظلّ صامداً ثابتاً يتحدى المحن والمصائب، ويعلن للورى أن جوهره بقي سالماً لم يمسه الاستعمار بأذى،" وأنه يتهيأ ليوم الفصل، اليوم تقف فيه الدنيا وتبعد عند حدث سيظل عبر التاريخ يزلزل ذكره أقدام الطغاة المستبدين، يوم يعنى بدلالته البعيدة والعميقة أن السيول العارمة التي تجمعت من عرق الأبطال، ودموع اليتامى والأرامل، ودماء الشهداء، عبر عهد الاحتلال المشؤوم قد تحوّلت إلى تيار قوي جارف يكتسح الاستعمار والمستعمرين في الجزائر!." ² فالاستعمار الفرنسي لم يترك وسيلة من وسائل الإبادة أو التدمير النفسي والعقلي أو تشويه المقومات الشخصية إلا جربها فيه، كما استولوا على أملاك الجزائر من أوقاف وأملاك العرش، فقد ظنوا أنهم بهذا القمع الرهيب، وهذه المحاولات الإجرامية السافلة التي لم يعرف لها نظير في مختلف الشعوب المستعمرة قد تخلصوا من هذا الشعب نهائياً، وأنه لم يعد يفكر إلا في مأواه (ملبس، مأكّل، مشرب) بعد أن فقد كل شيء، محاولين القضاء عليه بسلاح شيطاني خطير هو محاولة جعله جسماً فارغاً بلا روح، أما دعاة أهل العلم والإصلاح فهو محاربون على الدوام لأنهم لا يعرفون الجمود والخمود، ذلك أن البطولة هي الشجاعة، والبطل لا يعرف الأحجام عندما يحاصره الموت من كل جهة، وبإمعان النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة رأوا أن القوة هي الركيزة الأساسية للاسترجاع للسيادة

¹ . سورة الحديد، الآية:25.

² . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 82.

الوطنية فوق هذه الأرض من جميع النواحي مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾¹، فالقوة في هذه الآية تشمل كل أنواعها من قوة معنوية، كقوة الإيمان، والأخلاق، والفكر، والعلم، والكلمة، والتخطيط، والتضامن، والقوة المادية بمختلف أنواعها أيضا من مال، ورشاشات، وقنابل، ورجال حربيين مدربين على استعمال الأسلحة، وكيفية مواجهة العدو، ذلك أن النصر في الحياة، والنصر في الحروب أيضا لمن أخذ العدة كاملة المادية والمعنوية.

"وكانت الانتفاضة الشعبية العظيمة التي استمرت ثمانية أيام (من فاتح مايو إلى ثامن منه سنة 1945م بكافة المدن الجزائرية، والتي أسكتتها المدافع الفرنسية المتوحشة فقتلت أكثر من ستين ألف جزائري في مذبحه فظيعة قل أن عرف التاريخ لها مثيلا، ولا مهلكة هيروشيما التي اقتربها الأمريكيون في اليابان!... أعظم حدث في هذه الفترة قبل اندلاع ثورة نوفمبر العظيمة.. فلقد كانت تلك الانتفاضة حافزا عظيما للشعراء والأدباء الجزائريين الذين كتبوا عنها ما كتبوا..."²، ومن هؤلاء محمد الهادي السنوسي الزاهري الذي يعدّ من شعرائها الفحول، وأديب من أدبائها العظام، الذين أثروا المكتبة الجزائرية، ومن الذين تركوا بصماتهم واضحة في ركب النهضة الوطنية الحديثة، بمعوية رجالات الجزائر في الحركة الإصلاحية والوطنية، الأخير الذي كان أول من أسدى خدمة مميزة للشعر الجزائري الحديث يقول في قصيدة له تحت عنوان **إلى رجال العمل إلى الشباب الناهض**³:

ألا فدع التغزل في غوان
وما شأن المدامة في كؤوس
فتلك طريقة المستهترينا
بها تستنزف العقل الثميننا

¹ . سورة الأنفال، الآية: 60.

² . عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 31.

³ . محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 84.

فمن صوت البلاد لنا نداء
فمن جرح تغلغل من بينها
كفى بالأم يقتلها عدو
فهل لك يا « جزائر » من أبي
يغار عليك من ضيم وذل
فأنت الأم إن سألت أجيبت
لنا في عدل دولتنا رجاء
وحوش يشربون على ظماء
ويقول أيضا في موضع آخر¹:
وقوفا يا بني وطني وقوفا
نحيي نخبة نهضوا وأضحوا
يكاد المرء يسمعه أنينا
إلى جرح يضاف لآخرينا
على عظم اللثامة في البنينا
يعزّ عليه قدرك أن يهونا
ويحميك حمى الأسد العرينا
ندافع عن حياتك ما بقينا
به نقضي على المتألھينا
دماء العجز المستضعفينا
على ساق العزيمة مسرعينا
«على نادي السعادة» عاكفينا

فالزاهري ينادي أبناء وطنه بتضافر أيديهم، ولمّ شملهم للتضحية من أجل البلاد والعباد، كون أنّ الجزائر بمثابة أم ثانية لهم لا يعزّ لهم عليهم أن تهان أمامهم، وهم مكتوفي الأيدي أمام عدوّ غاشم بل وجب عليهم الدفاع عن عرضهم وشرفهم، لاسترجاع حريتهم المسلوبة وكرامتهم، والقضاء على الغزاة المحتلين والوحوش الضارية، عاكفين على تحقيق السعادة المنشودة، وذلك بكل عزم وثبات ووقار، فلولا هذه الحياة القاسية المليئة بالمحن والشدائد الثقيلة على النفس والأهوال، لما عرف معدن الجزائر الذهبي بمصدر تسلحه بالقوة العالية، التي جعلته في أمن من التميع، واليد الجامعة لصفوفه، الدافعة لطاقاته، فهو بلا ريب الإسلام الذي ربّى هذا الشعب على الإيمان والعزة والعقيدة، وغرس فيه القيم الأخلاقية والروحية، وأنّ الحياة لا تعطي إلاّ بقدر ما تأخذ، وأنّ الذين يقررون مصير شعوبهم فوق هذه الأرض، هم أصحاب النفوس الكبيرة والعزيمة القوية، الذين ينازلون الأخطار ولا يبالون لقوله

¹. محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحديث، المرجع سابق، ص 85.

تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)﴾ فأنقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ واتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ¹ ، فهذه القوة الروحية العالية بدلالاتها العميقة، هي التي فجرت ثورة نوفمبر الخالدة سنة 1954، ضف إلى ذلك " مجازر 08 ماي 1945م، التي تعتبر منعرجا حاسما في مسار العمل السياسي في الجزائر وفي مسار الاتجاه الثوري الذي تأكد من عدم تلبية الإدارة الفرنسية لمطالب الحركة الوطنية، وتأكد من ضرورة استعمال العنف الثوري لتحقيق مطالبه مع تقرير مواصلة العمل بنظام المشاركة في الانتخابات لتبليغ مطالب الجزائريين ولتخفيف وطأة القوانين الفرنسية على الجزائريين، وقد اعتبر ميلاد حركة الانتصار للحريات الديمقراطية مرحلة جديدة في نضال الاتجاه الاستقلالي ضد الاستعمار الفرنسي والتي حافظت في جوهرها على نشاط حزب الشعب الجزائري، وقد كان التيار العسكري المسلح نقطة الخلاف داخل هذه الحركة، حيث رفض الجيل الجديد المشاركة بالانتخابات وانتهى الصراع إلى تأسيس المنظمة الخاصة.² هذه الأخيرة التي خلقت صراع بين المصاليين والمركزيين بالإضلفة إلى عدة عوامل أخرى، وهذا الصراع أعتبر كحتمية لتفجير ثورة أول نوفمبر خاصة بعد فشل التوفيق بين الطرفين، "وتأكدت فكرة الثورة المسلحة لتحقيق الاستقلال والتي شارك فيها عناصر التوفيق بين الطرفين، وبعض المركزيين، وعدد قليل من المصاليين، وكانت الطبقة الشعبوية طبعا عمادها وقد تبنت هذه المجموعة المفجرة للثورة بيانا وميثاقا تضمن أهداف صيغت في بيان أول نوفمبر، اعتبرت الإيديولوجية المتبعة في الثورة التحريرية، وقد اعتمدت إستراتيجية الثورة على خلق جهاز جبهة التحرير الوطني كمثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري، هذا وقد عبر البيان عن مدى النضج الثوري الذي وصل إليه قادة الثورة التحريرية من جهة والطبقة الشعبوية الجزائرية من جهة أخرى، وما

¹ .سورة آل عمران، الآية: 173,174.

² . أسعد لهاللي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة 2011-2012م، ص 93.

كانت عمليات الفاتح من نوفمبر سوى بداية لثورة عارمة...¹، واندلعت الثورة التحريرية يوم أول نوفمبر سنة 1954م، كنتيجة للأزمات المختلفة والضغطات القاسية التي كان يتعرض لها أحفاد وأبناء الشعب الأبوي، وكل تلك العراقيل والنكبات على مختلف الأصعدة دفعت جماعة من المناضلين الوطنيين إلى الاجتماع لمناقشة المشاكل المختلفة، والتفكير في كيفية حلها حلاً يؤدي بالشعب الجزائري إلى التحرر النهائي من قبضة الاستعمار وبطشه، ولن يكون ذلك إلا بالكفاح المسلح وفق خطة منظمة ومنسقة ومحكمة، يخرج فيها من النظر إلى العمل، ومن الأمل إلى التنفيذ، ومن الكفاح السياسي إلى الكفاح المسلح أيضا ، ليعيش سعيدا أو يموت شهيدا كريما.

"و بعد اجتماع اثنين وعشرين الذي قرر اندلاع الثورة ويوم انطلاقها أخذ كل مناضل من هذه المجموعة يجمع الخلايا الأولى للمنظمة بالوسائل المحدودة التي يملكها، كما أخذ في إقامة الهيكل الأول لجيش التحرير الوطني، كما كان همّ كل واحد منهم أن يصنع جوا من الثقة والأمل لدى الشعب الجزائري، وأن يوقظ وجدانه الوطني...²، فمهمة المناضلين وأهم معولهم في الكفاح، هو نصر الجزائر وتحريرها من قيود الاستعمار المكدسة، والذي لا يكون إلا بالعمل الجدي المتواصل من أجل تفجير الثورة ونجاح اندلاعها، فكان أول نوفمبر اليوم التاريخي الخالد الذي فجر فيه الشعب الجزائري ثورته التحريرية، يقول محمد بلقاسم خمار في قصيدته: إلى نوفمبر والأنجاد الجزائر يوم 17/10/1954م³ :

نوفمبر...أيها النائي... كفانا...	من الذكرى ..أقم حتى ترانا
ودم بين الجوانح... في دمانا	وزحزح...عن محاجرنا...عمانا
لنبصر منك...كم صرح تهاوى؟	وندرك من جلالك...ما بلانا
لعلك... إن ملكت الروح منا	تعد بحبنا الغافي "البيانا"

¹ . أسعد لهلالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، مرجع سابق، ص93.

² . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 85.

³ . محمد بلقاسم خمار: ديوان محمد بلقاسم خمار، مصدر سابق، ص11.

فجاء نوفمبر ليمجد تاريخ البشرية السوداء، المليئة بالدماء الدموع، في دروب شائكات، ويفتح صفحة جديدة تتلائم وتطور التاريخ، ومتطلبات حقوق الإنسان في نيل الحرية والاستقلال.

كما يقول في قصيدة أخرى¹:

نوفمبر... أيها الغالي... أعدنا	إلى رشد... يقومنا سنانا
وخذ من جيشنا العاتي دروعا	و أنجادا... تزيل بهم شقانا...
سليل جنود ثورتنا... حري	بأن يستلهم اليوم القرانا
ويبدع لاختلال الركب نهجا	يوازنه... ويستلم العنانا
ويكبح من جموح الخيل فينا	ويرفع من ركائزنا الكيانا
ويمحق في نوازعنا الخطايا	ويوقظ في ضمائرنا الحنانا
ويبني دولة للعدل منا	تشيد في ذرى المجد المكانا

فالشاعر يخاطب نوفمبر الغالي بإعادة شعبه إلى رشده ويعطيهم المثل من سلوكهم الخاص، وأن يخططوا للطريق الذي يسلكونه بوجود زعيما قادرا على ذلك يستلم العنانا، ويعيد لهم الثقة التي فقدوها ويفجر في أعماقهم الأمل في المستقبل.

ويقول أيضا²:

كفانا من تسامحنا... كفانا...	لنسحق من تأمر أو تواني
لنلعن كل محتال لئيم	ولا نرضى خبيثا أو جبانا
ونمطر أرضنا طهرا وعزما	ونلغ الخوض... في كنا وكان
إلهي... هل ستغفر... أم ترانا	تجاوزنا الحدود... بما اعترانا..؟

يبين لنا الشاعر من خلال هذه الأبيات أن الشعب الجزائري ملّ من حياة الذلّ والمهان، لما أرفقه الاستعمار بتعسفه وتنكياته من وعود كاذبة، وأن الأوان لرد الصاع صاعين من سحق ولعن كل خوان أثيم ويطهر أرضه بكل عزم وثبات.

¹ . محمد بلقاسم خمار: ديوان محمد بلقاسم خمار، مصدر سابق، ص 16,17.

² . المصدر نفسه، ص 17,18.

ويقول في قصيدة أخرى الموسومة بعنوان «تحيةة إلى القادم نوفمبر»¹:

نوفمبر... يا حبي الأكبر

يا مطلع ثورتنا الأنور

* * *

يا صوت بلال... إذ كبر

و مهند خالد... إذ يبيت

يا برقاً في غيم ممطر

يا رعداً سبح... وتفجر

* * *

شدادُ العرب بك استنفر

النجدة.. أقبل يا عنتر

قد سلب العرب (بنو الأعور)

ومفائن عبلة تستعمر

والضاد يرديك أن تنأر

لضياح القبلة والمنبر

أقبل بجنودك يا أسمر

واستنهض خيلك أن تعبر

وافتح بالحب لنا المعبر

واسحق بقدمك من يغدر

أقبل، فالثورة، تنتهقر

يا نوفمبر.. يا نوفمبر..؟

¹ . محمد بلقاسم خمار: ديوان محمد بلقاسم خمار، مصدر سابق، ص 80,79,78.

وهذا ماجعل الدكتور محمد ناصر يعلق على هذه الأزمنة الثقافية بقوله: " كنا نحسب أن الدوافع النفسية التي كانت تدفع بالشعراء الجزائريين إلى قول الشعر في فترة الثورة التحريرية لم تعد شبيهة بتلك الدوافع التي تدفعهم إلى قول الشعر في عهد الاستقلال، فقد كانت الثورة في حدّ ذاتها مفجرا قويا للإبداع.¹"

3 - موقف جمعية العلماء من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 م وردة الفعل الفرنسية من ذلك:

إن تفجير الثورة في سرية تامة وأخذ العدة لها، قد فاجأ الكل وجعل الدهشة بادية على وجوه الجميع لاسيما الطبقة الشعبية من أبناء الوطن الواحد: "لأن الذين حضروا للثورة لم يكونوا معروفين وتحضيرهم لها كان في سرية تامة، فكان السبب وراء تردد إدارة الجمعية في الداخل للاتخاذ موقف واضح حيال ما يحدث، كما أن القيادة في الداخل لم تكن تريد أن تعرض هياكلها لغضب السلطة الفرنسية حيث حرصت على الاستمرار في نشاطها التربوي والتعليمي، لكن رغم ذلك فإن هناك مجموعة أساتذة الجمعية وطلبتها من انضم إلى الثورة منذ الأشهر الأولى أي قبل إعلان جمعية العلماء تأييدها للثورة وجبهة التحرير الوطني في 07 جانفي 1956 م"²، فالعربي الجزائري الأصلي يعتبر البطولة والصمود في المعركة من أجل نيل المبتغى والحق المبين عزا وشرفا، لا يستهان بهما، لأنه لا يخشى الموت، بل أقبل عليه بقوة وشهامة في مقرعة العدو ومنازلته، بالدفاع عن وطنه المسلوب وأرضه المغتصبة، الأخيرة التي يعيش في حماها وحضنها، وكل ذلك "يبرهن بوضوح وفي قوة، على ما يتمتع به أهل هذه البلاد، من حب الحرية، وعلو الهمة، وقوة الشكيمة، وصلابة العود، وإباء الضيم، وإيثار الموت على الحياة الوضيعة الذليلة، ومن ثم كانت المقاومة الدائمة، وكانت التضحية السخية، وكان الفداء الغالي الثمين لقول الشاعر³:

¹. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925- 1975 (مرجع سابق، ص 163.

². أسعد لهالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، مرجع سابق، ص 146.

³. محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 26.

"لن ينال الحقوق إلا أباة
يتحدون معجزات الطغاة
في حرب الحياة إما حياة
أو ممات يكن معنى الحياة

فموقف إدارة الجمعية داخليا كان مترددا بعض الشيء نظرا لعدم تمكنهم من معرفة من قام بفعل التفجير المفاجئ في ظروف غامضة، وهذا ما أثار طرح الكثير من التساؤلات خاصة ما تعلق بمشاركة الشيخ محمد خير الدين من العلماء، أما من الناحية الخارجية فقد أيد مكتب جمعية العلماء بالقاهرة الثورة، حيث أصدر الفضيل الورتيلاني بيان في 03 نوفمبر 1954 م دعا فيه إلى الجهاد، ثم أتبعه ببناء ثان في 15 نوفمبر من نفس السنة رفقة الشيخ البشير الإبراهيمي بدعوة الجميع لمساندة الثورة لكن دون الاعتراف بجهة التحرير الوطني، كما شارك الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتيلاني في تأسيس جبهة تحرير الجزائر والتوقيع على وثيقة تأسيسها في 18 فيفري 1955 م رفقة شخصيا أخرى منها بن بلة¹، فالباطل لا تستقر أقدامه إلا حينما يغفل عنه أنصار الحق ويستسلمون للظلم والهوان، لذلك لا بد أن يندحر وينهزم، إذ " أن الظلم هو الذي يسعر الحقد بين الجوانح، ويدفع إلى المعركة، ثم يظل يضطرم ويحمس ويغلي الدماء في كيان المحارب حتى يسقط في ميدان الشرف، وعلى ثغره ابتسامة الرضا والطمأنينة، وأين هذا في جنود الاحتلال؟... وإن الظلم ظلام، ولكنه في كيان المحارب الظلوم نار تحرق الخور، والضعف، والجبن، والاستخذاء، والحواجز التي تحول بين البشرية، والنصر والعلامة² فالشعب الجزائري منذ الوهلة الأولى كان رافضا للاستعمار وبطشه، ثم ظل يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى اندلعت ثورته التحريرية النوفمبرية المجيدة الفاصلة سنة 1954 م، مدرك أن من يرضى بالاحتلال يجهل نفسه، وأن من يقف لهم بالمرصاد مآله الهلاك، وهذا ما فعله مع المحتلين الفرنسيين الطغاة والمستبدين.

¹. أسعد لهالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، مرجع سابق، ص 146.

². محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 70.

" فمعظم الثوار الذين فجروا الثورات، وقادوا المقاومات الشعبية بالجزائر خلال عهد الاحتلال، كانوا أصحاب زوايا أو متخرجين منها، وهذا يعود إلى أسباب، وأهمها في نظرنا أن هؤلاء هم الذين تأصل فيهم الإسلام وتغلغت فيهم قيمه وأخلاقه، ويضمرون للكافرين كراهية شديدة، حسبنا أن من هؤلاء من كان يقول بحرمة مصافحة الكافر، ويرى أنها من نواقض الوضوء"¹، وهذا ما يلاحظ عليهم في مختلف مقاوماتهم، هم الذين يلحقون بقوات الاحتلال أضرار جسيمة وخسائر فادحة، وذلك باعتبار هؤلاء أهل البلد، مدركون لمسالك الأرض وطبيعتها، فهم بذلك شديداً الرغبة في القتال، وهذه المواقف قد أدت بجمعية العلماء إلى إعلانها " بتأييدها الرسمي لجبهة التحرير والثورة في 07 جانفي 1956 م إلى غضب السلطة الفرنسية، فقامت بغلق المدارس وإدخال عناصرها إلى السجون واقتحام مقرها سنة 1957 م، واختطفت القوات العسكرية الشيخ العربي التبسي واغتالته في أبريل 1957 م لأنها كانت تدرك مدى خطورته، والحقيقة هي أن الشيخ العربي التبسي وبشهادة المعاصرين كان مع الثورة منذ البداية، ومما يبين ذلك هو أن إبراهيم مزهودي والآخريين كانوا يلقون بتأييدا من الشيخ العربي التبسي، وجعلوا من معهد ابن باديس وبعض مدارس الجمعية خلايا سرية للثورة، وقدموا خدمات كبيرة للثورة بالنظر إلى الصعوبات التي واجهتها خاصة نقص الاتصال بين المناطق"²، وعندما تفتنت الإدارة الفرنسية لنشاط الجمعية رأت أن الأفضلية في ذلك هو استمالتها إلى صفها، ولما يئست من ذلك، عملت جاهدة على تشويه بيانها مركزة على ما جاء في خاتمه التزام الصبر والهدوء واحترام فرنسا عل أنه أمر من الجمعية، إلى أن الأخيرة قد ردت عليها ردا صريحا لأنها إلى جانب جبهة التحرير مؤيدة لها ومتفقة معها، فقد توالى مهمة الاتصال بين زعماء الجمعية في الداخل والخارج وعلى مختلف الجبهات والأصعدة عن طريق الجرائد والمجلات، وما يؤكد هذا القول أبو القاسم سعد الله الذي يقول: " فلما كنت في الجزائر سنة 1955 م كنت أسمع الأصدقاء التي تصلنا من أن

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 68.

² . أسعد لهاللي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، مرجع سابق، ص 146.

هناك أعضاء من جمعية العلماء خصوصا أولئك الذين يشتغلون في ميدان التفتيش، ممن تسمح لهم مهنتهم بالتنقل من مكان إلى آخر، أو الذين يجمعون الاشتراكات لجريدة «البصائر» فكل هؤلاء كانت لهم مهمة ظاهرة ومهمة خفية مثل جمع الرسائل وتوزيعها والاتصالات السرية بين أفراد الجبهة وأفراد جيش التحرير، أي كانوا يقومون بمهام محددة بالموازاة مع عملهم في إطار الجمعية.¹

لعب هؤلاء الزعماء دورا فعالا وبالغ الأهمية لربط الاتصال مع مبعوثيهم و قاداتهم في قضية عقد مؤتمر للثورة وتقييم وضعها وتتبع مسارها، إلا أن السلطات الفرنسية كعادتها قد وقفت لهم من جديد بالمرصاد، "وقامت باعتقال الكثير من أعضاء جمعية العلماء ومعلميها ظنا منها أنها ستحد من نشاطهم أو ستضعف من قوة جبهة التحرير والثورة، لكنها لم تدرك أن هؤلاء المعلمين المساجين قد استمروا في نشاطهم التعليمي مما يبين أصالتهم وتمسكهم بهويتهم وثوابتهم الوطنية ودفاعهم عنها"² ، فمقاتلوا جيش التحرير الوطني قد عزموا عزيمة نهائيا على مباغته الأعداء ويواجه كل ما يلاقه في سبيل الوطن من عذاب وتكيد بالصبر والثبات لتحقيق المبتغى المنشود والمرجو، ذلك أن مجازر 08 ماي 1945 م قد زادتهم إيمانا بأن الاستعمار لا عهد له ولا ولاء... وضاعفت فيهم العزم الصادق وهذا ما أدى بالسلطات الاستعمارية إلى اتخاذ إجراءات أخرى تمثلت في الإبادة الجماعية وتدمير القرى على أهلها، واستعمال قنابل النابالم، فينتقم منهم شر انتقام ينتهك حرمان النساء والشيوخ والأطفال كل ذلك من أجل الردع والقضاء على الثورة التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى وليدة ثورة نوفمبر التحريرية، وقد وضعت السلطات الأبرار الأحرار في السجون والزنايات وطبقت عليهم سياسة الحكم بالإعدام وبصوت واحد حين صعد أول المحكوم عليهم بالإعدام إلى المقصلة، كانت روح الجزائر تنبض وكان الحراس قد أفلوا كل النوافذ... إذ سمع صوت

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص163.

² . أسعد لهاللي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954. 1962م)، مرجع سابق، ص 179.

أحد الجزائريين قبل أن يقطع رأسه - تحيا الجزائر... تحيا الجزائر.. - انطلقت من سجن النساء أنشودة المجاهدين الجزائريين¹:

من جبالنا طلع صوت	الأحرار ينادينا للاستقلال
ينادينا للاستقلال	لاستقلال ووطننا
تضحيتنا للوطن	خير تمن الحياة
أضحى بحياتي	وبمالي عليك
يا بلادي يا بلادي	أنا لا أهوى سواك
قتل الشوق فوادي	وتفاني في هواكي
كلّ يوم فيك ينمو	حبه مثل النبات
يا ترى يأتيك يوم	تزهى فيه الحياة
نحن سور بك دائر	وجبال راسيات
نحن أبناء الجزائر	أهل عزم وثبات
نحن بالأنفس نفدي	كل جزء من ثراك
إننا أشبال أسد	فاصرفينا لعداك

فمن خلال هذه الأبيات يبين لنا الشاعر مدى خطورة التعذيب القاسي الذي تعرض له المناضلين الأحرار، من قبل الجلادين الذين حاولوا أن ينتزعوا منهم اعترافا، غير أنهم عجزوا عن ذلك وفشلوا بما شاهدوا فيهم من صلابة وقوة وصمود، يموتون كل يوم في سبيل حرية بلادهم.

" وبالرغم من الآلام الفظيعة والمآسي الفاجعة، التي يعانيتها المعذبون في ظلمات السجون، فإنهم يظلون دائما يحتفظون بطاقتهم المعنوية، حتى في اللحظات الرهيبة التي يواجهون فيها الموت، ولا يتخلون عن بطولاتهم مهما كانت الظروف، فيهتفون بحب وطنهم،

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص 165,165.

ويتغنون بالحرية والاستقلال، ويشنّعون بنظام الاستعمار على مرأى ومسمع من الجلادين، ورجال البوليس...¹، وما قد يخفف آلامنا وإحساننا بالاضطهاد هو أنه كلّما ضاعف المستعمر التعذيب، لقمع هذا الشعب والتكيل به، ومحاولة إبادته، كلّما زاد ذلك من معنوياته، وتضاعفت قوته وقوي جلده في مواجهة المحن والشدائد وتحملها، وبذلك تحقق الاستقلال عن طريق التنظيم المحكم، والتنسيق المنظم، والعزيمة والإرادة، التي تحلى بها زعماء وقادة الثورة وأتباعهم، وحتى الشعب من عامة الناس.

¹ . محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، مرجع سابق، ص162.

المبحث الثاني: نماذج مختارة لبعض شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1- الشيخ البشير الإبراهيمي:

هو الآخر له دور فعّال في توجيه وإصلاح الأمة الجزائرية و دعا إلى الإصلاح محتضنا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر وإحيائه، للخروج من التخلف المادي والأدبي، والتحرر من الجمود والتأخر الفكري والاجتماعي، فرجال الإصلاح وعلى رأسهم الإبراهيمي وجهوا عنايتهم - أكثر من غيرهم - لمراجعة التراث وغربلته والبحث عن جوهره الثمين، نتيجة التخلف المادي والمعنوي الذي خلفه الاستعمار والسيطرة الأجنبية،" لذلك كان لابد من المطالبة بتحرير الدين من السيطرة الفرنسية، ونشر التعليم العربي بتكوين مدارس خاصة به، وتدرّس علوم العربية في المساجد، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية، وهذه كلها شعارات رفعتها الحركة الإصلاحية منذ بدايتها وألحّت عليها طوال وجودها، وبالتالي فإن هذه المطالب لا يمكن أن تتحقق إلا بإصلاح المجتمع الجزائري وذلك برجوعه إلى أصلته، وانتمائه إلى حضارة لها خصائصها الروحية والمادية المتميزة، وتفتحته على حقائق العصر...¹، حتى يتخلص الشعب الجزائري من التخلف الذي يعاصره كان لابد من دعاة الإصلاح (الإبراهيمي) أن يعيد النظر في كلّ شيء، فيطهر الدين من الخرافات، ويجدّد في اللغة بالتطوير في أساليبها، ويحررها من القيود في تعابيرها، فقد كان لا يرى تقدما بغير هذه المقومات الأساسية لأبناء الجزائر، من دين ولغة وتاريخ وحضارة فالإسلام هو الطريق الصحيح، وأن الرجوع لتعاليمه وقيمه هو الطريق الأنجع حيث قال البشير الإبراهيمي²:

ألا يا قوم ما الإسلام هذا ودين الله رب العالمين
أتى الإسلام يأمرنا بعلم وسير في المنافع ما حيينا

¹. عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث الشعر الديني الإصلاحي، ج2، دار الكتاب العرب، الجزائر، 2009، ص

². محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية، هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص14.

و جمع بين دنيانا وأخرى تدبر قول خير المرسلين
فالشاعر من خلال هذه الأبيات يبين لنا ما جاء به الدين الحنيف، والمبادئ السامية والأخلاق الكريمة والتي دعا إليها الإسلام، فكان المنبع في حضارتهم الزاهرة.
إن تقصي الإبراهيمي لأمراض المجتمع وتدهور واقعه الذي تفشي فيه كل ما هو غير أخلاقي وديني، والانغماس في هذه الموبقات سببها الجهل وضعف الثقافة وعدم الاهتمام بالتعليم، وتعاليم القرآن، والحديث من نصح وإرشاد جعل المجتمع في اضطراب يقول الشاعر¹:

نعم إنا شقين إذ سقينَا كؤوس الجهل لكل ما روينا
ينادينا الكتاب لكل خير فهل كنا لذلك سامعينا
ويقول أيضا²:

سعود الأسفلين به دهينا لأن للمعارف ما هدينا
رمت أمواج بحر اللهو منا أناسا للخمر ملازمينا

يصف لنا هنا واقع الشعب الجزائري وما آل إليه جراء الوحوش الضارية من أمور خارجة عن الدين، وكيف أنه غرق في الضياع، سادت فيه الخرافات ومظاهر الشعوذة التي طغت على الناس و دخلت حياتهم يقول في سياق آخر³:

وسل زار ونسر مسيد طبل وزينتتا تبيع التابعين
وسل عن السلاحف في غراب وأعطار أتراق و عائمينا
وسل غابا لحكم الجن أضحى يقينا كل ضر قد يقينا
وسل ذلك الحمام لدى حمام نذبحه بلا اسم عامدينا

ضف إلى ذلك ما وصل إليه المجتمع من انهيار خلقي وديني إذ يقول⁴:

¹ . محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية، هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص13.

² . المرجع نفسه، ص 11.

³ . المرجع نفسه، ص 14.

⁴ . المرجع نفسه، ص14.

فإنّ الجاهلون إذ فعلنا وإنّا الفاعلون إذا نهينا
وإنّ النّاكرون لكلّ برّ وإنّا الرّاكنون إلى الدّينا

فهذه المرارة ولدت لدى دعاة الإصلاح نزعة قوية مشعلها الدعوة إلى النهوض وتطهير المجتمع من هذه الموبقات وذلك بامتزاجها بالجاهير، وتكوين لها مناضلين من أبناء الشعب وزرع أفكارهم بين جميع الفئات مهما اختلفت أعمارهم وأجناسهم محاولا إصلاحهم من زاوية الدين، بالرجوع إلى القيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النجاة وأنه " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"¹، بجلائل الأعمال التي تشعّ بالعلم والمعرفة، وتثير الطريق لمواكب الأجيال المتعاقبة على سائر الحياة الزاحفة إلى غد مضيء وبزوغ فجر جديد من الانبعاث والحياة وبشارة خلاص للشعب الأبويّ وذلك بإعداد للثورة المجيدة التي لا شك أنها كانت في الغيب نذير شؤم للاستعمار، فقد جاء الإبراهيمي في حقبة مظلمة من تاريخ الجزائر عازما على خدمة الأمة العربية بالفكر والقلم واللسان، وبنائه لها مجدا عريضا من خلال مقدرته " الفكرية الخارقة، الأخيرة التي تضعه في مصاف نوابغ الفكر وأقطاب البيان، ضف إلى ذلك ثروته العلمية واللغوية الواسعة نتيجة الدأب والممارسة الطويلة من الحفظ والبحث، بالإضافة إلى إيمانه العميق وشعوره القوي في بناء الحياة، وصنع مجد الأمة، وبنهض بالرسالة وينطق بآمال الأمة وآلامها، ويبعث من جديد في تباشير الصباح حيث تنوعت ثقافته التي جعلت حياته خالدة بروائع الفكر، وصار مثار إعجابهم، سحر القلوب وملك الأحاسيس بينابيعه المتدفقة والمندفعة كالسيل الجارف، مصمما على المضي في الطريق الشائك حتى النصر أو الموت، مشمرا على ساعديه للعمل بجد غير مكترث لما يتعرض له أو يصيبه من تعسف وتكيل، حيث سار شوطا واسعا في الجهاد العلمي والإصلاحي مكملا للطريق الذي مهده له ابن باديس في غرس فكرة صائبة ونشر مودة جامحة وإنشاء قوة هادفة والغيرة الوطنية الصادقة التي تتأجج بين الجوانح، وذلك

¹ . عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث الشعر الديني الإصلاحي، مرجع سابق، ص 11.

بجهاده في مختلف المجالات بشيء من التفصيل والشمولية على علمه أن طريقه الطويل محفوف بالمكاره والمخاطر، والمملوء بالعقبات والأشواك، إلا أنه قد اعتزم خدمتها بخدمة دينها ولغتها، وسلاحه في طريقه إلى ذلك يكمن في العقيدة والصبر، ومصباحه العلم والمعرفة بروح صافية، ونفس شفاقة وقلب خاشع وعلم واسع، قوامه التجديد الواعي، والإصلاح الحكيم، والتخلص من عصبية الجاهلية من الجهالة والتحجر والضلال ومحاربة الاستعمار الغاشم الفرنسي الذي ينخر في كيانه بالتحايل والغطرسة والتجبر في وحشيته على تحويل الشعب الجزائري إلى قطعان من البهائم تسوقهم العصا الضارية أو القاسية إلى المجزرة أو المزرعة، فقد كان للإبراهيمي ثقة عظيمة بالله تعالى، وإيمان قوي في توجهه إلى ربه راجيا منه الإعانة والنصر في جهاده الطويل بكل عزم ووقار في جبهات مختلفة، وميادين متنوعة حتى يكون الوطن يوم تدق الساعة، وينادي المنادي، على أهبة كاملة للثورة المجيدة.¹

الإبراهيمي فارس عظيم ذو مهارة فائقة في مقاومة ومواجهة الاستعمار وإبرازه لبعض المجالات أهمها: العقيدة فقد عني بها ودعا إلى الإيمان الصحيح، وحارب روااسب عصور الانحطاط الذي تعيش في ذهن الأمة وتعيقها عن التقدم والرؤية الكاشفة وأهاب بالعقل أن يصحو ويهتدي بالعلم والمعرفة، إذ نجد ذلك في كثير من نداءاته، فمن ذلك قوله من مقال عن أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، "وأول يد بيضاء لها - للجمعية - في هذا الباب تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وأن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا!"²، فهذا النوع من التحرير لا يقوم به إلا العلماء المصلحون فهو أثر طبيعي للإصلاح الديني الذي انتهجت بحمله جمعية العلماء، من توحيد المشارب المتباينة،

¹ . ينظر : محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص84،85،86،87،88.

² . محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص 89.

وإيقاظه للأمة في قوة التمييز بين الصالح والطالح، والجيد والرديء، وزرع البذرة الأولى (الرأي العام) الذي هو بلوغ الرشد بالنسبة إلى الجماعات وقد استهدف بجهاده الفكري باب السياسة بمعناها العام عند جميع العقلاء، وفي هذا يقول من مقال بعنوان (جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها)، "... أما لباب السياسة بمعناها العام عند جميع العقلاء فهو عبارة واحدة (لإيجاد الأمة)، ولا توجد إلا بنتيبت مقوماتها من جنس، ولغة، ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصلية، وتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة، وترتيبها على الاعتراف بنفسها، والاعتزاز بقوتها المعنوية والمعالجة بقيمتها وبميراثها، وبالإمعان في ذلك كله حتى تكون لها عقيدة راسخة تتنازل عنها، وتستमित في سبيلها، وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها...¹، فهذه المقومات هي التي تولد هذا الوطن كلما تلاقت وتلاحمت مع بعضها، ضف إلى ذلك فقد درس في مجال القرآن الذي يستضيء به الناس نورهم في سواد حياتهم وظلامها ويتخذونه طريقا إلى الكمال المستقيم في هذه الدنيا ويحكمونه في نزاعاتهم، فقد بنى الإبراهيمي فلسفته في ميدان الإصلاح والتجديد، وبناء الأمة والتوجه بها نحو الأحسن على أساس العودة إلى منابع الأولى التي هي كتاب الله وسنة رسوله الكريم لأنه كلام خالق النفوس، وأن المسلمين الأوليين إنما أصلحهم القرآن لأنهم عملوا به، لما استمسكوا بعروته، يلتمسون فيه الأشفية لدائهم وأهوائهم واعتبار الإسلام دين عالمي الذي جاء به خاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾²، والبشرية كلها بحاجة إلى هذا الدين وإلى هدايته، والتعريف بمزاياه والكشف عن قيمه لأن الكثير من المسلمين مسلمون بالوراثة لا عن دراسة وإدراك فهم يرثون الدين عن آبائهم وأجدادهم كما يرثون الأموال، وعرض الإسلام بنوره المضيء أمر ضروري حتمي لهم، حتى يظل على طبيعته من النقاوة والفاعلية، ويقاوموا كل من يسيء إليه بأي لون من ألوان الإساءة سواء من ذوي الدخائل السيئة أو من المحسوبين على الإسلام ظلما

¹ . محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، مرجع سابق، ص 90.

² . سورة الأنبياء، الآية: ص107.

باعتبار أن مستقبل الإسلام رهين بعد قدرة الله ومشينته بجهود أبنائه لا بإرادة أعدائه، على جبهتهم وحدها يكون الخلل في هذا الصراع الطويل، وتتحدّ وجهة الإنسانية لقوله تعالى : (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة)¹، وظلت مشكلة الإسلام، واللغة العربية، والتراث العربي الإسلامي وما يعارض هذا الثالوث من صعوبات سافرة من ذيول الاستعمار، هو ما يشغل فكر الإبراهيمي ولسانه وقلمه طوال حياته، كون أوربا عملت جاهدة على إماتة العقائد والأخلاق عند المسلمين، وبذل قصارى جهودها من أجل تفريقهم، وسلخهم من دينهم وإبقائهم مشنتين موزعين، حتى يكونوا ذيلا خسيسا لهم فقد تعددت فيه مواضيعه ودروسه، وسنده في كل ذلك القرآن الكريم ذلك أن الكلمات الأولى التي تلققتها الأرض من السماء تأمر بالعلم والمعرفة لقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾²، ويبين لنا سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات الكريمات أن أول صيحة تسموا بقدر القلم وقيم العلم، والطغيان على الأمية وتعليم الإنسان القراءة والكتابة كما كان مرجعه إلى ذلك أيضا السنة النبوية المطهرة وإحياء اللغة العربية، ويرى الشيخ البشير الإبراهيمي أن للمسجد والمدرسة دورا بارزا فعلا في هذا المجال في معايشة أوضاع الجزائريين ومشاكلهم وهمومهم، وفيهما جميع العلوم الإسلامية .

2 - محمد العيد آل خليفة:

عودنا محمد العيد آل خليفة من خلال أشعاره بالتنوع حيث برزت فيه شخصيته الصادقة وطموحه الوطني القومي ويظهر ذلك في مختلف أجزاء الديوان، فقد كان له شعور إسلامي فياض عكس إحساسه العميق بالانتماء للأمة العربية، حيث تبدوا العروبة والإسلام محور تفكيره وانفعاله بالقضايا والأحداث، سواء منها ما تعلق بالجزائر أو بسواها³، فقد دعا شعره

¹ . سورة الأنفال، الآية: ص06.

² . سورة العلق، الآية: 01- 05.

³ . عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 67.

للثورة فكانت له" دعوات صارخة إلى الثورة في الوقت الذي كانت فيه كلمة الثورة بلفظها المفرد كافياً بنزول العقاب الأليم بلافظها قبل أن يتم تركيب الجملة"¹. ويظهر ذلك من خلال قصائده ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر قصيدة مع الشعب التي نشرت في العدد 42 من جريدة البصائر 1936م²:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه أولاً فإنك عضو منه منحسم
تقول أضحى شئت الرأي منقسماً وأنت عنه شئت الرأي منقسم
فكن مع الشعب في قول وفي عمل إن كنت بالرجل الشعبي تتسم!!

فهنا يدعو لنا الشاعر على ضرورة مساندة الشعب في كل شيء سواء عقولاً أو عملاً.

وقد ألقى قصيدة تنبأ فيها بالثورة المسلحة وأنها ستعم البلاد تحت عنوان «صرخة ثورية» وهي قصيدة أُلقيت في إحدى حفلات مدرسة (الشبيبة) بالجزائر سنة 1932م، هي تعد من القصائد الثورية التي كانت كإرهاص لثورتنا المسلحة، فقد نظمها قبلها بعدة سنين حيث جاء فيها³:

رأيت المنايا سبيل المنى فخاطر تصب منية أو منيه
إذا زلزلت بالخطوب البلاد فلا خير في حذر أو تقيّة
تولى زمان الرضى بالهوان ووافى زمان الفدى والضحية

كما أنه يدعو كذلك إلى اختيار الجهاد كأسلوب لا فتكالك الحقوق (الحرية) بدل الجري وراء السراب في قصيدته «ذكرى المؤتمر»، أنشدت في الذكرى الأولى للمؤتمر الإسلامي الذي أقيم بالعاصمة في شهر أوت سنة 1937 م، ونشرت في مجلة الشهاب حيث قال⁴:

¹ عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 66.

² محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، مصدر سابق، ص 371.

³ المصدر نفسه، ص 417.

⁴ محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، المصدر نفسه، ص 303.

شهدت اليوم مؤتمرا عظيما
به تبنى الجزائر من جديد
ونبعث صوتنا الشعبي حرا
ونقتحم السدود إلى حقوق
ثم استطرد في هذه القصيدة وقال¹:
فقم يا ابن البلاد وانهض
وقل يا ابن البلاد لكل لص
فخض يا ابن الجزائر في المنايا

أغرّ لمثله يجيب الشهود
وتستحيا المآثر والحدود
يدوي مثلما دوت رعود
حرمنها وإنه علت السدود
بلا مهل فقد طال العقود
تجلى الصبح وانتبه الرقود
تظلك البنود أو اللحود

وفي موضع آخر نراه يخاطب فرنسا ويسألها متى توفي بوعودها التي كانت تسكت لها الشعب الجزائري حيث قال²:

متى توفي الوعود؟ فقد مللنا
حنت أعناقنا الأغلال ظلما
ألم نوسعك في العظمى جهودا
فما هذا التجاهل والتناسي
فسوسي المسلمين بكل عدل
لهم في كلّ مقبل الأيام شأن

تساؤلنا متى توفي الوعود؟
وحزّت في سواعدنا القيود
ألم تحم الحمى تلك الجهود
وما هذا التتكر والجحود
وخلي ضيمهم فهم الأسود
به يتمخض الزمن الولود

فالبيت الأخير إشارة واضحة وبارزة المعالم على أن القادم أعظم أي أن في الأيام المقبلة

حدثا عظيما وهو الثورة حيث راح الشاعر يستنهض الهمم فيها هو يقول³:

شرع الكلام إلى مدن
من للجزائر يفتديها

يا قوم فالعمل العمل
اليوم من سفه السفلى

¹ . محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، المصدر سابق، ص304,305.

² . صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص118,119.

³ . محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، مصدر سابق، ص 123,124.

يا شهرين من العزائم مثل مرهفة الأسل
خوضوا بها الأمواج واعوا الشعب واقتلعوا القلل
من قال جلّ عدوكم قولوا له: المولى أجل

فكانت التنظيمات السرية تعمل في السر ما يدعوا إليه الإصلاح في شبه العفن حيث مهدت هذه الحركات الإصلاحية الأرض لبذر بذور الانتفاض، وفتحت العقول لقبول بدعة الحرية والاستقلال، ظهرت نقطة الحرية إلى الوجود بوجه مقنع، حيث قال في قصيدة «أين ليلاي»¹:

أين "ليلاي" أينها جبل بيني وبينها
أصلت القلب نارها وأذاقته حينها
روعتي بينها لا راعى الله بينها
ما "لليلاي" لم تصل مهجات فدينها
إيه يا عيني اذرفي لن ترى بعد عينها
كما تساءلت سالكا أنهجا حوينها

لم يجبني سوى الصدى أي ليلاي أينها؟

فاكتسب اسم "ليلى" تارة وغردت هزارا تارة أخرى، ومن خلال هذه الأسماء المستعارة ولسان العاطفة ناجى " محمد العيد" الحرية، عله يحظى بالوصل، و الحرية إرهاب لثورة قادمة فنشرت هذه القصيدة في الشهاب 1938 م، بتعليق من الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، "فمن هي ليلى شاعرنا يا ترى؟... إن محمد العيد الذي يشعر شعور لشعب ويتخيل خيال الشعب، لا يشغله قوس ولا مروحة ولكن لا تفتته - وهو البلبل الغريد في قفص...- إلا الحرية فهل يوافق على هذا بعض ما ينقصهم شيء من السياسة ليفهموا؟ وقد أيد الشاعر هذا أخيرا في قصيدته الطويلة «ملحمة الثورة والاستقلال» فقال:

¹ . محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، مصدر سابق، ص41،42.

ليلاي فيك تعطفت بوصالها!! فشفنت به مجنونها المستعرا"¹

وبعد تغزله بالحرية يعود الشاعر إلى شعبه داعيا إياه إلى الاستيقاظ وإدراك الخطر المحيط به، ثم يتساءل هل ينال هذا الشعب حقه في الحرية، ولما كانت الحرية لا تعطى، كان على الشاعر أن يرسم الطريق المؤدي إليها المتمثل في المعركة والجهاد، وجاء هذا في قصيدته بعنوان « سلوا التاريخ »، التي نشرت في العدد 114 من جريدة البصائر 1950 م حيث قال²:

وهل شعب الجزائر مستفيق	من الأحلال مطروح الركود
وهل هو بالتححر سوف يحصى	كأمه (ليبييا) أو (الهنود)
ولا يعطي التححر غير شعب	يجيب إلى المعامع حيث نودي

وهناك قصيدة أخرى صرخ فيها في وجه الاستعمار، يتوعده فيها بالويل والثورة بعنوان «برك الله للذكرى حساما» نشرت بمجلة الشهاب سنة 1932 م حيث قال³:

أرى الأنفاس مرهقة بجو	كمثل الغاز بوسعها بخنق
يدوى بالوعيد دوي رعد	ويومض بالردى إيماض برق
أيوثق بالأهم كل كف	ويوطأ بالمناسم كل عنق
فمهلا يا زمان البغي مهلا	لقد أعيا كواهلنا التلقي

وفي البيت الأخير نلحظ تلك الصرخة في وجه الظلم والطغيان ومحاولة للانفلات من العبودية ودعوة إلى المقاومة والجهاد والتحرر.

حيث لم يعد محمد العيد يخفي شيئا بل زادت حدة في حدة لغته وأصبح يخاطب الشعب بكثير من الصراحة والعنف لأخذ الحرية عن العدو عنوة، فنظم قصيدة بعنوان «يا قوم هبوا»

¹ . مصدر نفسه، ص42.

² . محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، مصدر سابق، ص 201,200.

³ . المصدر نفسه، ص84.

وفي قصيدة وطنيه ألقاها بقسنطينة لتلاميذه ونشرت بعدها في جريدة المنار سنة 1950 م حيث جاء فيها¹:

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم	فالعمر ساعات تمر عجالا
الأسر طال بكم فطال عناؤكم	فكوا القيود وحطموا الأغلال
والشعب ضج من المظالم فأنشدوا	حرية تحميه أو استقلالا
لا أمن إلا في ظلال مرفرف	حر لنا عال نيبير هلالا
إذا أراد الشعب نال مراده	ولو أنه كالنجم عزمنا لا

فهو هنا يدعوا إلى خوض معركة لنيل الاستقلال، إنه يحرض الشعب للكفاح ويهزه من سباته العميق ليحطم قيود الاستقلال لينعم بالعيش تحت ظلال رايات المجد والحرية.

فمحمد العيد يمثل صوت الجزائر المعبر روحها وانتمائها فلا عجب بعد كل هذا أن يكون محور شعره ذلك الشعور بالانتماء الأكبر للعروبة والإسلام، فقد أعطى خمسين سنة من عمره للشعر والوطن، ونلاحظ كذلك من عناوين أناشيده إشارة إلى التنبؤ بالثورة وتوحي كذلك بالمعركة و تهيئ لخوض غمارها حيث ذكر في إحدى قصائده:

فنحن كشافة (الرجاء)	ونحن جوابة البلاد
في عزمنا أن نعيدا	تاريخنا الماضي المجيدا
ومن يكون عزمه شديدا	لا بد أن يبلغ المراد (والمراد هنا هو الحرية)

وفي قصيدة أخرى نشرت سنة 1951 م في العدد 145 من البصائر يقول فيها²:

من أين يفلح الشعب	أين الهدى و الصلاحا
خاص الميادين دعوى	فأعقبته افتضاحا
لأنه لم يهيئ	غير الكلام سلاحا

¹ المصدر سابق، ص 340,339.

² . محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، مصدر سابق، ص340.

فالكلام لم يعد السلاح الفعال لمجابهة العدو بل العديد والنار هو أحسن وسيلة لذلك، وفعلا كانت الأيام تقترب من 1954 م، وكانت المعجزة المبنية في الظلام تزحف إلى قمم الأطلس ليتحقق وصل الشاعر محمد العيد آل خليفة "بليالة"، ويجعل اللقاء خلدا وترمي الدخلاء في عرض البحر من حيث أتوا وتدفع ضريبة لذلك مليون ونصف مليون شهيدا.

3 - أحمد سحنون:

يعد أحمد سحنون من الشعراء المحظوظين،" الذين كثر الحديث عنهم على عهد الاستعمار الفرنسي بادمانه نشر قصائده في البصائر الثانية خصوصا، كما نشر أيضا بعض قصائده بجريدة المنار وغيرها من وجهة، وبتناول الناس له في كل المراجع التي ترجمت للشعراء الجزائريين في القرن العشرين من وجهة أخرى، ولا يسعنا إلا أن نسجل ذلك بسرور غامر.¹

كتب قصائد كثيرة تنتبأ فيها بالثورة ودعا الشباب لليقظة والأخذ بزمام الأمور للمضي نحو هدف واحد هو الاستقلال، وللوصول إلى هذا الهدف لابد من نقطة تخطو بالشعب الجزائري من القول إلى العمل، ومن السياسة إلى الثورة ومن الإصلاحات إلى الحقوق، ومن المساواة إلى الشخصية المستقلة، ومن المناير إلى السواعد، ومن التفاوض إلى التضحية، ومن التشدق بالسياسة إلى اقتحام المهالك والحروب وفي هذا الشأن قال أحمد سحنون²:

كلا ولا ذكر المجازر والحروب	ليس التشدق بالكلام سياسة
حول التقدم والتأخر في الشعوب	أو أن تثير لدى المجالس ضجة
فيما تعانيه بلادك من خطوب	إن السياسة أن تفكر دائما
ولو اقتحمت له المهالك والكروب	وترى، فتعمل ما ترى لعلاجها
من غير تضحية فمن شر العيوب	أما التشدق بالسياسة وحدها

¹ . عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، مرجع سابق، ص446.

² . صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص206.

فالبيت الرابع والخامس إشارة واضحة للثورة، وإلى ضرورة بذل النفس والنفيس من أجل الوطن، وما يدل على ذلك عبارة (من غير تضحية) فلا جدوى من القول دون العمل. فالجزائر كانت تشكووا التخلف وشعبها يعاني الهوانة وكل أنواع الظلم والاضطهاد، وشاعرنا نقل شكوى الوطن لأبنائها فقال¹:

إن الجزائر تشكووا لكم بدون نساء
تشكووا لكم ما تلاقي من ذلة وهوان
تشكووا اغتصاب حقوق تشكووا ضياع أمان
ويدعوا إلى نجدتها فقال :

فلتجدوها لتحيا كسائر البلدان
بأن تردوا إليها ما ضاع منذ زمان
وتطلب كل حق لها بكل لسان
وتتصر كل ساع وتزجروا كل وان
وإن تكونوا جميعا في الخطب كالبنيان
ويواصل دعوته:

ضحوا بكل عزيز في خدمة الأوطان
فسجلوا كل الفخر يبقى على الحدثان
ويذكر ماتعانيه الجزائر:

ويح الجزائر كم ذا تلقى من الحرمان
قضت زمانا تعاني من الأسى ما تعاني
قد جرعت كل صاب عن السياسة آن
وحملت ثقل قيد يعي به الثقلان

¹. أحمد سحنون الديوان سلسلة شعراء الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1977، ص107.

ويرى أن الحقوق لاتنال بالكلام فقط، وهنا إشارة خفية إلى ضرورة إستعمال ما هو أقوى من الكلام وهو السلاح¹:

من المحال تؤدي	حقوقنا باللسان
وأن نمنى بوعد	وأن نعلى بشأن
لو اتحدنا لنلنا	حقوقنا من زمان
لكن باينا بخلق	أفضى إلى الخذلان
فاستيقظوا واستعدوا	يا معشر الشبان
فخدمة الشعب فرض	على بني الإنسان

ويوجه صرخاته كذلك لذوي القلوب البيضاء " أبناء الكشافة، فلا ينبغي أن ننسى أن للكشافة دورا هاما في تكوين الشباب ثوريا فهناك أناشيد كشافية مؤثرة تبعث في الشيء المكامن الوطنية وتقوي إرادته، وتحرضهم على الكفاح..."²، ومن بينها نشيد سحنون الذي يبيث فيه الروح النضالية، وقد نشر في البصائر سنة 1947 م³:

كشاف يا ابن الطبيعة	وابن الحقول البديعه
كن للبلاد دليلا	كن في الجهاد طليعه
كن للجزائر عينا	تري وأذنا سميعة
خصومها لم يزالوا	يببوتون الخديعة
أعد بغير المساعي	لابن البلاد الربيعه
انهض أماني شعب	غدت عليه صريعة
وخذله غير وان	حق الحياة جميعه
الفجر أبدى سناه	لمجده ليذيعه

¹ . المصدر نفسه، ص108.

¹ . أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945 حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، ص 87.

³ . أحمد سحنون: الديوان، مصدر سابق، ص 16.

كشاف ماضيك زاه
أوصيك ألاّ تضيعه
فاخلع قيودك وانهض
بالشعب يا بن الطبيعة
وأفعال الأمر "أعد"، "كن"، "خذ"، "اخلع"، كلها أفعال تدعوا إلى النهوض ونفض غبار الذل
والمهانة.

ويقول أيضا داعيا الشباب دعوة صريحة إلى الثورة وذلك سنة 1948 م¹ :

فيا جند الشباب والمعالي
مضيا، مثلما يمضي الشهاب
إذا لم تقتفوا آثار طه
فليس لكم إلى طه انتساب
ولستم بالأسود، إذا رضيتم
بأن تسطوا - بأرضكم - ذهاب
أيمسي ابن البلاد غريب دار
ويرى للدخيل بها جناب
أيمسي ابن الفتوح رهين أسر
وطعم الأسر للأحرار صاب

وهناك قصيدة أخرى قالها في حفلة افتتاح دار العلماء سنة 1949 م تحت
عنوان «بوركت يا دار»، يعبر فيها عن سروره لبناء دار جمعية، وفي الأبيات الأخيرة منها
يدعوا بصراحة شعبه إلى الجهاد ليتحرر من قيود الاستعمار ويحثه للإقتداء بأبائه الأمجاد
لنيل العلا ليحي حياة الرفاهية حرة عزيزة، فاستعمل الأفعال الداعية للنهوض والعمل والحركة
منها" اترحوا هذا الواني، انهضوا... ويستعمل كلمات دالة على العزة والكرامة مثل:
(المجد، العلياء، حياة العز، الخلد، خوض الردى...)، فكلها عبارات مثيرة تحرك كوامن
النفس وتعرض للكفاح إذ قال²:

بوركت يا دار لا حلتك أكدر
فأنت معقل الجند يا دار
قد كنت حلما جميلا رفّ طائره
بالوهم حلم حتى إجتلتك أنظار
قد كنت واجب شعب قد هب مندفعاً
كالسيل تحدوه للأوطان أوطار

¹ . أحمد سحنون: الديوان، مصدر سابق، ص 28.

² . المصدر نفسه ، ص 28.

ثم يواصل فيقول¹:

فاليوم نستقبل الدنيا بأفئدة
واليوم نهتف بالبشرى مرددة
واليوم نفزع للأعمال في ثقة
نمضي لتحقيق غايات مقدسة
سلاحنا الحق والإيمان قائدنا
فجر الحياة بدا في الأفق مؤتلفا
ويقول في الأبيات الأخيرة:

يا فتية الدار حان الوقت فاطرحوا
سيروا على نهج آباء لكم سلفوا
شقوا الزحام إلى العلياء واقتحموا
اسعوا لتحيا حياة العز أو فردوا
أرواح آبائكم في الخلد قد هتفت
هذا الونى وانهضوا فالناس قد طاروا
فإنهم في طريق المجد قد ساروا
أخطارها إنما العلياء أخطار
حوض الردى يمحي بها العار
تحرروا فجميع الناس أحرار

وشاعرنا له هدف مهم ألا وهو نفض غبار الذل والهوان على كل كاهل الشعب الجزائري
ودعوته إلى رفض ما هم فيه والانتفاضة:

من دينه الاسلام يأبى أن يرى
من حرر العاني وفك قيوده
من فارس والروم فتح جدوده
في داره يمسي غريب الدار!

من(خالد) من منجبيه و (طارق) يخشى تناقص عائب أوزارا!

ليعيد دولته وحكم جدوده ويعود ذا نفع وذا إضرار!

وبرد دنيا الفاتحين لعهدا في غابرة الأزمان والاعصار!

¹. صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص118.

وقد كان ما بين هذا النص وبين غرة نوفمبر ثلاثة سنوات فلا عجب أن يزخر بمثل هذه الجمل والتي نشم من خلالها رائحة الثورة وتباشير مولدها المنتظر.

نجد للشاعر قصيدة أخرى عنوانها «يا ابن الشمال» يدعو فيها إلى الكفاح، وقد نشرت في

جريدة البصائر في 20 نوفمبر 1953 م، عدد 248¹:

واصل كفاحك ودأبك	يا أيها الشعب الأبّي
واجمع جهودك كلها	لتعيد دولة يعرب
طهر صفوفك من جبا	ن خائر ومذبذب
لا تقتحم نار الوغى	إلا بكل مجرب
كل الشعوب تحررت	وسمت سمو الكواكب
وأراك في ركب الحيا	ة تسير آخر الموكب
ياطالب العلم اجتهد	كصوله ولا تلعب
واطو الليالي باحثا	فيما يفيدك واتعب
ياأيه الشعب استقم	في السير لا تتذبذب
وبحبل دينك فاعتصم	ويهديه فتأذب
وعلى أتحداك فاعتمد	ومن يتحدّ لا يغلب
يا ابن الشمال أخ المعا	لي للنضال إلا وجب
سر في خط عبد الحمي	د تصل لا بعد مطلب
في غير تحرير الشما	ل جمعية لا ترغب
وابداً ببذل المال يسد	ل كل أمر أصعب
فابذله في تحطيم قيد	دك فهو أرباح مكسب
ليس الشمال سوى العر	ين لكل ليت أغلب

¹. أحمد سحنون: الديوان، مصدر سابق، ص126،127.

وقد نظم قبل هذه القصيدة أكثر صراحة يدعو فيها إلى اليقظة والفتنة والاستتفار للثورة فلم يلمس في صوت المؤذن بالفلاح إلا آذان بالكفاح والجهاد وقد نشرت بجريدة البصائر عدد 194 في جوان سنة 1959 م¹ :

قم من رقادك يا حليف الرقاد	إن المؤذن بالفلاح ينادي
قم إن سيفك فوق رأسك معلنا	فيه الردى، وعداك بالمرصاد
أينام محكوم عليه بموته	وحياته في قبضة الجلاذ!
الله أكبر في الآذن طلقة	من مدفع أو صرخة الجهاد

وفعلا فقد اتحد الشعب الجزائري وكان يدا واحدة وانتفض وانتفاضة جبارة يوم الفاتح نوفمبر سنة 1954م، وضع الثوار أمجاد الوطن انطلاقا من صيحة " الله أكبر".

فإن الإسلام إذا طرح من حسابه كل القيم الدينية، أو الأخلاقية، أو الوطنية، هان عليه كل شيء، هان عليه دينه، وهان عليه وطنه، وهانت عليه نفسه، وهذا حال الخائن، وهو يناصر أعداء وطنه، آبائه وأجداده، والخائن لوطنه قد باع بأبخس الأثمان عقله وقلبه وضميره للاستعمار، عدو وطنه اللدود، واستحق بذلك عقاب ين: عقابا في الدنيا هو الاحتقار والضياع والخزي، وعقابا في الآخرة هو عقاب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾²

¹. صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص346.

². سورة الكهف، الآية: 103-104.

خاتمة

-
- بعد معايشتنا لموضوعنا - الثورة في شعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (نماذج مختارة) - ظهرت لنا مجموعة من النتائج منها ما يلي:
- لقد نشطت مجموعة من الجمعيات من أجل التصدي للاستعمار الفرنسي من خلال نشاطها في كافة المجالات الدينية والسياسية والثقافية.
 - شهدت الجزائر صراعاً ثقافياً بين حركة إصلاحية داعية إلى الحفاظ على المقومات الوطنية، وبين مستعمر يعمل على فرنسة كل ما هو جزائري أصيل وعلى مسح وتشويه الدين الإسلامي.
 - جمعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نخبة من رجال الجزائر كان في طليعتهم علماء الدين، فقد كانت أهم الحركات الوطنية الإصلاحية الداعية للاستقلال في فترة الاستعمار وهدفها (تعلموا...توحدوا).
 - نادى الأحزاب السياسية في فترة الاستعمار على تحقيق المساواة بين الجزائريين والمعمرين الأوروبيين، أي أنها طالبت بالإصلاح الاجتماعي ومطلب واحد ألا وهو استقلال الجزائر، أما جمعية العلماء فركزت على نشر الثقافة العربية ومحاربة التجنيس لأنها كانت تؤمن بأن بث الوعي هو السبيل الوحيد لحماية الشعب الجزائري من الانحراف.
 - رغم الضغوطات الفرنسية إلا أن جمعية العلماء الجزائريين لم تنجح في إفشال مخططاتها من اعتقال لزمائها وشل حركتها بإيقاف جرائمها ومن المضايقات من طرف أبناء البلد الواحد الذين يتلاعبون باسم الدين، فتصدت الجمعية بكل السبل والوسائل، فلم تترك عملية من عمليات القمع والتعذيب والاضطهاد التي واجهت بها فرنسا الثورة التحريرية إلا وكان لها رد فعل على ذلك فلا تنحصر في الجزائر فقط بل شملتها إلى خارج الوطن (فرنسا).

- عانى الشعب الجزائري ظروف قاسية طوال فترة الاستعمار من قبل السلطات الفرنسية، فما كان على جمعية العلماء المسلمين سوى أن تحمل عبء الذين احتلوا أرض الجزائر وحاولوا القضاء على مقوماتها وتدمير منابر العلم فيها وحلق الفوضى في الأوساط العلمية.

- جسّد أعضاء الجمعية بحق نشر الوعي بين الناس، فكانت ثورتهم إصلاحية بعيدة المدى بالغة الأهمية في الكشف عن جوهر الإسلام الذي يعد الفاعل الأساسي في ترسيخ وحفظ مقومات الشخصية الجزائرية وكذا اللغة العربية وإعداد الشباب لإعداد خير أمة.

- اندلعت الثورة التحريرية كنتيجة للأزمات المختلفة القاسية التي تعرض لها أحفاد وأبناء الشعب الأبوي وكلّ ذلك أدى إلى دفع مجموعة من المناضلين إلى التفكير في كيفية حلّها حلاً يؤدي إلى التحرر النهائي من قبضة الاستعمار وبطشه، ولا يكون ذلك إلا بالكفاح المسلح بعد أن أصلح وعي الشعب وأقرّ بضرورة كسر قيود الظلم والتخلص من قبضة المستعمر.

- نجحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أداء رسالتها التربوية ومهمتها التعليمية من خلال الثقافة العربية وأصلحت ما أفسده الاستعمار في الجزائر، وكوّنت إطاراً كانت عماد الأمة خلال الثورة وغداة الاستعمار.

- الثورة المباركة بُشّر بها وهي في الأرحام شعراء على رأسهم: محمد العيد آل خليفة، البشير الإبراهيمي، أحمد سحنون، وقد حملوا على عاتقهم مهمة الدعوة إلى اليقظة ونفخ روح الثورة في نفوس الشعب، وقد كانت دعوتهم مباشرة أحياناً وغير مباشرة أحياناً أخرى لعدة اعتبارات.

تمّ بعون الله وحفظه إتمام هذا البحث وإنّا نرجو التوفيق والسداد من الله عزّ وجلّ.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر:

01- أحمد سحنون: الديوان سلسلة شعراء الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1977م.

02- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد خليفة شعراء الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د.ط، 2010م.

المراجع:

03- ابن منظور: لسان العرب، مج3، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005.

04- أبو قاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج4، لبنان، ط1، 1996.

05- أبو قاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، ج3، لبنان، ط4، 1992م.

06- أبو قاسم سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1984م.

07- آمنة بواشري بنت ميرة: أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية الجزائرية نموذجاً (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962م)، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ط، ، 2008م.

08- أنيسة بركات درار: أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945 حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط.

09- ايميه سيزير: خطاب حول الإستعمار، تر: ميشال منطوق، طبع ANEP، الجزائر، د.ط، 2007م.

10- سعيد بو زيان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936 . 1956م، تص: أبو قاسم سعد الله، تم: محمد الصالح الصديق، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2012م.

- 11- شريط أحمد شريط: الإشارات في الأدب والفكر والثقافة، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2009م.
- 12- شيخ عبد الرحمان شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، د.ط، 2009م.
- 13- صالح خرفي: محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- 14- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م.
- 15- صالح فركوس: تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005م.
- 16- عبد الحميد بن باديس: نصوص مختارة، تح: محمد قرصو، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، د.ط، 2009م.
- 17- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة)، دار المدار يونيفارسييني براس، الجزائر، ط2، 2009م.
- 18- عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث الشعر الديني الاصلاحى، ج2، دار الكاتب العرب، الجزائر، د.ط، 2009م.
- 19- عبد المالك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومه، الجزائر، د.ط، 2006م.
- 20- عشراي سليمان: ابن باديس(مخاضات العبور إلى الصدور الأخرى قراءة في تفاصيل المسيرة نحو خط النار مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2005م.
- 21- عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م.

- 22- عمار هلال: نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954م، دار هومه، الجزائر، ط5، 2012م.
- 23- عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995م.
- 24- فاضلي إدريس: حزب جبهة التحرير الوطني FLN عنوان ثورة ودليل دولة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط، 2004م.
- 25- محمد الصالح الصديق: شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من ثورة التحرير الجزائرية، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2012م.
- 26- محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومه، الجزائر، 2012،
- 27- محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، منشورات السائحي، الجزائر، ط2، 2007م.
- 28- محمد بلقاسم خمار: ديوان محمد بلقاسم خمار، مج1، ج1، أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2010م.
- 29- محمد ناصر بوحجام: أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، المطبعة العربية، غرداية الجزائر، د.ط، 1992م.
- 30- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975م)، دار العرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1985م.
- 31- ناصر الدين سعيديوني: الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2009م.
- 32- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2009م.
- 33- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830-1954م، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008م.

34- يحي بوعزيز: السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954م، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 2008م.

الدوريات والمجلات:

35- أسعد لهلاي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة 2011-2012م.

36- الهادي قطيش: جريدة المنقذ جريدة سلسية تهذيبية إنتقادية شعارها الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء، تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع سنة 1925، دار الهدى، الجزائر، د.ط، 2009م.

37- محمد كناي: الشعر الجزائري الحديث (1925-1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (1993-1994م).

فكرات في الموضوعات

أ.....	مقدمة
06.....	مدخل
	الفصل الأول: إرهابات الثورة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
18.....	المبحث الأول: ظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
18.....	المطلب الأول: ماهية الثورة
20.....	المطلب الثاني: حالة الشعب الجزائري قبيل تأسيس جمعية العلماء المسلمين
32.....	المطلب الثالث: نبذة عن أهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
39.....	المبحث الثاني: مدى تأثير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
39.....	المطلب الأول: موقف الأحزاب السياسية من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
49.....	المطلب الثاني: موقف الاستعمار من جمعية العلماء المسلمين
55.....	المطلب الثالث: دور الجالية الجزائرية دينيا، سياسيا، ثقافيا
	الفصل الثاني: كيفية تناول جمعية العلماء المسلمين للثورة (نماذج مختارة)
62.....	المبحث الأول: الثورة وتعدد رؤاها
61.....	المطلب الأول: رؤية عبد الحميد بن باديس ومحمد السعيد الزاهري
70.....	المطلب الثاني: الشعب الجزائري يفجر ثورة التحرير
المطلب الثالث: موقف جمعية العلماء من اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م وردة الفعل	
78.....	الفرنسية من ذلك
84.....	المبحث الثاني: نماذج مختارة لبعض شعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
84.....	المطلب الأول: الشيخ البشير الإبراهيمي
89.....	المطلب الثاني: محمد العيد آل خليفة
95.....	المطلب الثالث: أحمد سحنون
103.....	خاتمة
107.....	المصادر والمراجع